الولاية التكوينيَّة

فيضٌ إلهي وعطاءٌ رباني



الشيخ اسماعيل حريري

دار الولاء
بيروت - لبنان

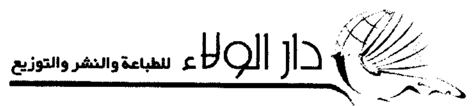
الولاية التكوينية

فيضٌ إلهي وعطاءٌ ربّاني

اسماعيل ابراهيم حريري العاملي



دار الولاء
بيروت ـ لبنان



لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - سنتر فضل الله
تلفـــاكس: ٠١/٥٤٥١٣٢ - ٠٣/٦٨٩٤٩٦ - ص.ب: ٢٥/٣٢٧
E-mail:daralwalaa@yahoo.com

اسم الكتاب: الولاية التكوينية ـ فيض إلهي وعطاء رباني

المؤلـــف: الشيخ إسماعيل إبراهيم حريري العاملي

الناشـــر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعـــة: الأولى ـ بيروت ٢٠٠٣ م ـ ١٤٢٤هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

«عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون»

حديث قدسي

«لا مانع من تفويض أمر العباد إلى روحانية كاملة تكون مشيئته فانية في مشيئة الحق، وإرادته ظلال إرادة الحق، ولا يروم إلّا ما يريده الحق، ولا يتحرَّك إلّا إذا كان موافقاً للنظام الأصلح سواء كان في الخلق والتكوين أو التشريع والتربية».

الأربعون حديثاً للامام الخميني(قده)



الإهداء

إلى صاحب الولاية الكبرى والإمامة العظمى

إلى سيد الكون وخير الخلق

إلى الشفيع المشفّع رسول ربِّ العالمين

مولانا أبي القاسم ﷺ أقدِّم هذا العمل راجياً منه القبول والرضا

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأعظم السلام على أشرف الخلق وأعزّ الأنام مولانا أبي القاسم محمد وعلى آله الهداة، والأئمة الولاة الطيّبين الطاهرين.

من المعلوم لكلّ مطّلع أنَّ فرقة الشيعة الامامية قد امتازت عن سائر الفرق الإسلامية بالولاء التام والإنحياز الكامل لأئمة أهل البيت النبوي المعروفين عند كل المسلمين بالأئمة الاثني عشر، والذين نصّ عليهم رسول الله ﷺ بأسمائهم كما ثبت ذلك عند هذه الفرقة، بالدليل القاطع والبرهان الساطع.

ولذا كان من الطبيعي جداً أن يستقي أتباعُ هذه الفرقة معالم دينهم أصولًا وفروعاً من هؤلاء الأئمة الذين يعتقدون بعصمتهم وطهارتهم ووجوب طاعتهم والانقياد والتسليم لهم في كل ما يقطعون بصدوره عنهم عليهم السلام أخذاً بالثقل الأصغر الذي أمر النبي الأكرم ﷺ المسلمين جميعاً بالأخذ به والرجوع إليه مع الثقل الأكبر، وبيّن لهم أنَّ الأكبر هو كتاب الله، والأصغر هم عترته من أهل بيته عليهم السلام.

وقد كان لهذه العقيدة الأصيلة عند الشيعة الإمامية الأثر البالغ في امتياز عقيدتها أصولًا وفروعاً عن عقيدة بقية الفرق الإسلامية

الأخرى، الأمر الذي بان لكل مطَّلع أنَّ لهذه الفرقة ما تفترق به عن غيرها من الأمور الجوهرية والأساسية التي تدور عليها رحى الايمان إثباتاً ونفياً.

ولهذا فقد رُميت بقوس الافتراء والبهتان من قبل كثير، عملًا على إسقاطها، وإيهام الجمهور من المسلمين وغيرهم بوهن اعتقاداتها وفساد آرائها دون الاستناد في ذلك إلى دليلٍ قاطع أو حجّة بالغة تكون معذّرة لهم يوم القيامة بين يدي الله تعالى.

علماً أنّ ما من اعتقاد اشتهرت به تلك الفرقة المحقّة إلّا وكان الدليل رائدها، والبرهان قائدها.

ومن تلك الاعتقادات الحقّة ما نادت به من ثبوت الولاية والسلطنة التكوينية للمعصومين من الأنبياء والأئمّة والأوصياء على اختلاف وتفاوتٍ بينهم في قوّتها ومداها، وهذا طبيعي بعد تفاوتهم عليهم السلام في المراتب والدرجات قال تعالى ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[١].

وهذا القول من الشيعة الإمامية في إثبات هذا المقام للمعصومين عليهم السلام خاضعٌ للدليل الحجّة، وليس شططاً من القول.

بل كل من يفهم ما للمعصوم عليه السلام من خصائص وملكات وقابليات أفاضها الله تعالى عليه لقابليته يدرك تماماً ضرورة وجود هكذا ولاية أو على الأقل استحقاق المعصوم عليه السلام أن يتمتّع بهذه الولاية والتي تعتبر في مرتبةٍ أدون من الولاية التشريعية التي لا يشك

(١) البقرة/ ٢٥٣.

أحدٌ ـ على ما أعتقد ـ من الشيعة الإمامية في ثبوتها للمعصوم عليه السلام كما دلَّ على ذلك النقل ولم يمنعه لا عقلٌ ولا نقل.

وعليه فنقول:

حتى يتّضح الحال في هذه المسألة لا بد من تقسيم البحث إلى فصول خمسة:

الفصل الأول: في معنى الولاية التكوينية لغةً واصطلاحاً.

الفصل الثاني: في الدليل على إمكان هذه الولاية، وتتضمّن مقدّمة في بيان مقامات الأنبياء والأوصياء من الكتاب والسُنّة.

الفصل الثالث: في الدليل على وقوع هذه الولاية من خلال الممارسة العملية الكثيرة لها من قبل الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

الفصل الرابع: في تصريح علماء الشيعة الامامية بثبوت هذه الولاية.

الفصل الخامس: في دفع الشبهات التي وردت أو قد ترد عل القول بهذه الولاية.

وختمت البحث بخاتمة في بيان كيفيّة تحصيل الأصول الاعتقادية.



الفصل الأول

في معنى الولاية التكوينية
لغةً واصطلاحاً





الفصل الأول

في معنى الولاية التكوينية لغةً واصطلاحاً

أما لغةً فالولاية: من ولي يلي ولاية وهي بالكسر الإمارة مصدر وليت، وفي النهاية انها بالفتح: المحبة، وبالكسر: التولية والسلطان.

والولي هو الذي يدير الأمر، والسلطان ولي أمر الرعية[1].

فتكون الولاية في كل شيء بحسبه، فإذا كانت على النّاس فهي تعني إدارة أمورهم وصيرورة الولي أميراً عليهم يطيعونه فيما يصدر عنه من أمر ونهي، فهو وليُّ الأمر.

وإذا كانت على الأشياء التكوينيّة كالشجر والحجر والشمس والقمر والأرض والجبل، وإحياء الموتى، وانباع الماء، وغير ذلك فهي تعني إدارة شؤون هذه الأمور بما فيه من مصلحة، وللولي عليها حق الطاعة والانقياد.

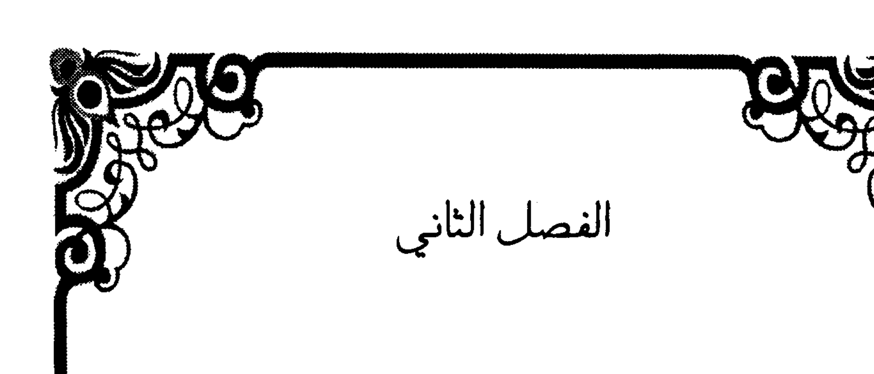
ومن هنا فُسّرت ولاية الله التكوينيّة اصطلاحاً «بأنها التي تصحّح له تعالى التصرّف في كل شيء، وتدبير أمر الخلق بما شاء وكيف شاء»[2].

---

(١) راجع مجمع البحرين/ ج١/ ص٤٥٥/ مادة ولا.

(٢) الميزان في تفسير القرآن/ ج٦/ ص١٢.

وبهذا صار واضحاً المراد من «التكوينية»، فهي من التكوين الراجع إلى عالم الكونيات الحقيقيّة التي نراها أو كثيراً منها بأعيننا والتي حواها هذا الكون الفسيح، وتشكّل بمجموعها نظاماً كونياً عالياً، ودقيقاً بسيره ضمن ما خطّه له الباري تعالى شأنه.



الفصل الثاني

في الدليل على إمكان هذه الولاية





الفصل الثاني

في الدليل على إمكان هذه الولاية

ويحسن التقديم له بمقدمة من أمرين:

الأمر الأول: الأصل الذي يقرّ به كل إلهي - يعتقد بوجود إله خالق ومكوّن ومدبر - هو أنّ لهذا الإله الخالق والمكوّن الولاية المطلقة على كلّ ذرّة من ذرات هذا الكون بعد كونه الخالق المكوّن، وأنّه تعالى هو المدبّر لهذا الكون ولا مدبّر سوه، قال تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[١].

وإليك بعض الآيات الكريمة التي دلّت على خضوع الكون لإرادة الله تعالى ومشيئته:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢].

ومقتضى الملكية التصرّف المطلق اللامحدود.

وقال تعالى ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[٣].

---

(١) الرعد/ ٢.

(٢) النور/ ٤٢.

(٣) الحديد/ ٥.

وقال تعالى ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[1].

وقال تعالى ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[2].

وهذه تدل على خضوع من في السماوات والأرض من خلق بعد خضوع نفس السماوات والأرض كما في الآيات السابقة.

وقال تعالى ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[3].

وفي هذه الآية دلالةٌ على ممارسة المولى الحق لهذه الولاية على السماء والأرض.

وقال تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[4].

وقد صرّح المولى تعالى بهذه السلطنة والولاية على نحو القاعدة والأصل في قوله ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[5].

ومما دلَّ على إعمال هذه الولاية من قِبل المولى من الآيات قوله تعالى ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[6].

---

(١) الزخرف/ ٨٥.
(٢) آل عمران/ ٨٣.
(٣) فصّلت/ ١١.
(٤) الزمّر/ ٦٧.
(٥) النحل/ ٤٠.
(٦) الأعراف/ ١٦٦.

وقوله تعالى ﴿يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[١].

ويكفينا في المقام إنشاءُ الله تعالى وإحداثه لهذا الكون بما فيه من خلق وأنظمة وقوانين، ورعايته وتدبيره بمنتهى الحكمة بما فيه مصلحة العباد وجلب النفع لهم، ومن نماذجه: هطول الأمطار، وحركة الشمس والقمر ونبات الزرع، ونشوء الجنين في رحم أمّه من حالاته الأولى إلى أن يخرج إلى عالم الحياة الدنيا، كل ذلك خاضعٌ للأسباب الكونية التي جعل الله تعالى الكون يسير على وفقها ويعمل على أساسها، وإذا شاء منع هطول الأمطار، أي حبس قطر السماء عن الأرض، فتجف الأرض فلا ينبت الزرع، وإذا شاء منع من انعقاد نطفة الجنين، كل ذلك بإيجاد الأسباب الحاكمة على تلك الأسباب، أو بإيجاد الموانع من تمامية علل وأسباب تلك الأمور التكوينيّة، أو بأعمال إرادته تعالى الحاكمة على كل علّة وسبب لأنه تعالى علّة العلل وسبب الأسباب إذ هو السبب الأوّل والحقيقي، وليس هذا سوى إعمالٍ لولايته تعالى المطلقة على هذا الكون.

ومن أبرز مظاهر هذه الولاية البعث والنشور بعد الموت والفناء.

ولا يخفى أنَّ هذه الولاية والسلطنة للمولى الحق على الكون المخلوق الحادث هي من مظاهر قدرته تعالى على كل شيء الذي صرّحت به الآيات الكثيرة، والأخبار المستفيضة بل المتواترة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، بل الثابت بحكم العقل الذي يفرض أن يكون الخالق الموجد قادراً على كل شيء وإلّا لزم خلف كونه خالقاً مُوجداً. هذا من جهة.

---

(١) الأنبياء/ ٦٩.

أفعال الله تعالى معلَّلة بالأغراض:

ومن جهة ثانية فقد ثبت عند الامامية بل العدلية أنَّ أفعال الله تعالى يستحيل أن تكون بلا غرض خلافاً للأشاعرة الذين نفوا ذلك كما صرّح به الفضل بن رزبهان في كتابه إبطال الباطل ـ الذي ردّ فيه على نهج الحق للعلامة الحلي رحمه الله فرد عليه الشيخ محمد حسن المظفّر رحمه الله بدلائل الصدق، والشهيد التستري رحمه الله في إحقاق الحق ـ حيث قال: « . .إنَّ الأشاعرة ذهبوا إلى أنَّ أفعال الله تعالى ليست معلّلة بالأغراض، وقالوا لا يجوز تعليل أفعاله بشيء من الأغراض والعلل الغائية»[1].

ولا يخفى أنَّ هذا القول منهم لازم قولهم بنفي الحسن والقبح العقليين وأنَّ أفعال الله تعالى لا توصف بحسنٍ ولا قبح، وأطلقوا مقولة أنه «لا يجب على الله شيءٌ ما بالعقل لا الصلاح ولا الأصلح ولا اللطف. . .»[2].

وعليه فلا يجب على المولى بحكم العقل أن تكون أفعاله متَّصفة بحسن ولا قبح، ولا معلّلة بالأغراض.

وقد استدلّوا على قولهم هذا بما حاصله:

إنّ كل من كان يفعل شيئاً لغرض كان مستكُمَلاً بفعل ذلك الشيء، والمستكمَل بغيره ناقص لذاته[3]، ولا نقصان في ذات الله تعالى.

---

(١) دلائل الصدق/ ج١/ ص٢٣٢، وراجع ص١٩٠ منه، وتلخيص المحصّل/ ص٣٤٣.
(٢) الملل والنحل للشهرستاني/ ج١/ ص١٣٩.
(٣) تلخيص المحصّل/ ص٣٤٣.

والجواب: إنّ الغرض من فعل شيء عائدٌ إلى أحد أمرين على نحو مانعة الخلو:

الأول: أن يعود إلى منفعة العبد لانتفاء الإضرار بحقه من قبل المولى لقبحه عند العقلاء.

الثاني: أن يعود إلى اقتضاء نظام الوجود ذلك كخلق النار للحرارة وغيرها، وخلق الشمس والقمر والكواكب للاضاءة والنور.

والاستكمال إنما يلزم لو كان الغرض عائداً إليه تعالى، وفي كلا الأمرين لا عودَ إليه بل إلى غيره، فلا يلزم الاستكمال، فلا يلزم النقص[١].

بل الدليل على خلافهم قائم وهو:

أولاً: مخالفة قولهم لصريح القرآن الكريم الذي نفى العبثية واللعب والباطل عن أفعاله تعالى:

قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٢]

وخلق الناس وبعثهم ورجوعهم من أفعاله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾[٣] إذاً خلقهم لغرض.

وقال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٤].

---

(١) النافع يوم الحشر للفاضل السيوري/ ص٨٠، بتصرف.
(٢) المؤمنون/ ١١٥.
(٣) الأنبياء/ ١٦.
(٤) ص/ ٢٧.

فيكون خلقهما وما بينهما حقّاً، والحق يقتضي أن يكون لغرض، ومن ارتأى غير ذلك فقط ظنّ، وهو ظنُّ الذين كفروا.

ثانياً: إن كون أفعاله تعالى بلا غرض يلزم العبث، والعبث قبيح، والله تعالى يستحيل منه القبيح[1] لمخالفته لحكمته.

ثالثاً: إنَّ لازم نفي الغرضيّة والغائيّة عن أفعال المولى تعالى إبطال النبوّات، وذلك لأنَّ النبي عليه السلام لا بُدَّ له من مُعجز على نبوّته لغرض تصديقه، فلو كانت أفعاله تعالى غير معلَّلة بالأغراض لَمَا ثبت أن المعجز الذي جرى على يد النبي عليه السلام إنما جرى لغرض تصديقه، لصدوره لا لغرض.

وكل أحد حينئذٍ يدّعي أنّ هذا المعجز صدر لتصديقه هو في دعواه النبوّة، وهذا لازمه عدم تصديق أيّ نبوّة، وإبطال النبوّات[2].

ولهذا ذهبت الامامية إلى أنّ أفعال الله تعالى لا تصدر منه إلّا لغرض وغاية حكيمة صائبة.

وفي الأخبار ما يدلُّ على ذلك أو يؤيّده:

ففي علل الفضل بن شاذان عن أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال: «إن سأل سائل فقال: أخبرني، هل يجوز أن يكلّف الحكيم عبده فعلًا من الأفاعيل لغير علّة ولا معنى؟ قيل له: لا يجوز ذلك لأنه حكيم غير عابث ولا جاهل...»[3].

وإذا ثبت أنّ لله تعالى الولاية المطلقة على الكون، وثبت أن

---

(١) كشف المراد للعلاّمة الحلي/ ص٣٣١.

(٢) نهج الحق وكشف الصدق للعلاّمة الحلي/ ص٩١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام/ ج٢/ ص٩٩/ ح١.

أفعاله معلّلة بالأغراض، وهذه الولاية هي من أفعاله الصادرة منه، ثبت أنّ إعماله تعالى لهذه الولاية لا يكون إلّا لغرض يعود: إمّا إلى منفعة العبد وإمّا إلى اقتضاء نظام الوجود الذي هو في حقيقته منفعة للعباد، وفي رعايته وحفظه مصلحة لهم.

ومحال أن تصدر منه تعالى أفعالٌ جزافاً وتشهياً بالنحو الذي يشير إليه قول الأشاعرة، إذ صدور الأفعال بلا غرض لا بُدَّ أن يكون كذلك.

الأمر الثاني من المقدّمة: في بيان مقامات الأنبياء من الكتاب والسنّة. وقبل ذلك لا بُدَّ من الإشارة إلى شيء وهو:

إنّ الله تعالى بمقتضى حكمته وعلمه لم يكن ليبعث إلى الخلق من لم يلبس من الصفات الحسنة أكملها، ومن الفضائل العليا أعلاها، فلا يبعث إلّا من جمع الكمالات بأعلى مراتبها، وهو الأعلم والأحلم والأشجع والأعدل والأسخى والأعف والأصدق والأوفى والألين، والأشد تواضعاً، من يُضرب به المثل، وتعنو لكرم أخلاقه وحلوّ شمائله وفضائله رقاب الأشراف والعقلاء، ويعجز عن مضارعته ومقارنته بتلك الكمالات من بلغ من التقوى عزَّها، ومن الفضيلة مجدها، ومن العبادة قلبها، كيف لا يكون كذلك؟ وهو المعصوم المسدّد، وأين عِزُّ التقوى من العصمة؟ وأين مجد الفضيلة من الخلق العظيم؟ وأين قلب العبادة من سرّها؟ وهو سرّها.

والذي يدل على ما ذكرناه ما حكاه الكتاب وروته السنّة من حالات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

أمّا الكتاب فقد وصفهم بأوصاف كثيرة، منها:

١ ـ جعلُهم عليهم السلام خلفاء الله تعالى في الأرض، والخليفة لا بُدَّ أن يكون على هوى المستخلِف، ويعمل برضاه، ولا يكون كذلك إلّا من كان على أعلى قدرٍ من الطاعة لله تعالى بحيث لا يصدر إلّا عن رضاه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١].

وقال تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[٢].

٢ ـ أمرُهُ تعالى الملائكة بالسجود لنبيّه عليه السلام تعظيماً له وإكراماً، وهذا ما لم يفعله لغير النبي، فيدلُّ على امتيازه واختصاصه بأمور غير متوفّرة في غيره من الخلق الآخرين.

وقد ذكر تعالى أمره بالسجود لآدم النبي عليه السلام في سبع آيات هي:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾[٣].

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾[٤].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾[٥].

---

(١) البقرة/ ٣٠.
(٢) ص/ ٢٦.
(٣) البقرة/ ٣٤.
(٤) الأعراف/ ١١.
(٥) الكهف/ ٥٠.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾[١].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[٢].

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[٣].

٣ ـ تأييدُهُم بروح القدس، وهذا يدل على استحقاقهم هذا التأييد الالهي والتسديد الربّاني، ولا يكون لكل أحد قطعاً، بل لا يكون إلّا لأشخاص مخصوصين، وسيأتي في الأخبار، ما يدلّ على اختصاص هذا التأييد بالأنبياء والأئمة عليهم السلام. قال تعالى ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[٤]، وقال تعالى مخاطباً عيسى عليه السلام ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾[٥].

٤ ـ جعلُهُم أئمةً على الخلق، وهذا يقتضي لزوم طاعتهم واتخاذهم قدوة، والقدوة المُطاع لا بد أن يختص بما لا يوجد في المقتدي والمطيع، قال تعالى في ابراهيم عليه السلام ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٦].

وسيأتي في الأخبار ما يدلُّ عليه يضاً.

---

(١) طه/ ١١٦.
(٢) الإسراء/ ٦١.
(٣) الحجر/ ٢٩، وص/ ٧٢.
(٤) البقرة/ ٨٧ و٢٥٣.
(٥) المائدة/ ١١٠.
(٦) البقرة/ ١٢٤.

وقال تعالى حكاية عن ابراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(١).

وقال تعالى حكاية عن بني اسرائيل ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٢).

والذين جُعلوا أئمة من بني اسرائيل هم الأنبياء وأوصياؤهم (عليهم السلام أجمعين)(٣).

٥ ـ جعلَهُم الله تعالى المعلّمين لأممهم والمزكّين لهم، والمعلّم والمزكّي لا بد أن يكون أعلم من المعلَّم، وأزكى من المزكَّى، ومن كان كذلك حقّ أن يكون مقدَّماً على غيره.

قال تعالى في حكاية دعاء ابراهيم واسماعيل ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾(٤).

وقال تعالى ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾(٥).

وقال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا

---

(١) الأنبياء/ ٧٣.

(٢) السجدة/ ٢٤.

(٣) قد ورد في بعض الأخبار أن بعض الأنبياء كانوا منبّئين في أنفسهم لا يعدوها، ولم يُبعثوا إلى أحد. إلاّ أنّ كل من بُعث إلى قومٍ لزم أن يكون إماماً لهم يطيعونه ويقتدون به (راجع أصول الكافي/ ج١/ ص١٧٤/ ح١).

(٤) البقرة/ ١٢٩.

(٥) البقرة/ ١٥١.

مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١].

وقال ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

٦ ـ إيتاءُ الله تعالى إياهم الكتاب والحكمة، وقد فُسِّرتا تارة بالنبوة، وأخرى بالكتب السالفة والسُنَّة، وثالثة بالقرآن الكريم على حسب اختلاف المورد، وهما ـ الكتاب والحكمة ـ اللذان أرسل الأنبياء لتعليمهما للنَّاس وإخراجهم بهما من الضلال إلى الهدى ومن الظلمات إلى النور.

قال تعالى ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[٣] وقد أضاف الله تعالى لداود الملك كما سيأتي في آياتٍ أُخر.

وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[٤].

وقال تعالى عن آل ابراهيم عليه السلام ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[٥].

---

(١) آل عمران/ ١٦٤.
(٢) الجمعة/ ٢.
(٣) البقرة/ ٢٥١.
(٤) آل عمران/ ٤٨.
(٥) النساء/ ٥٤.

وقال تعالى مخاطباً نبيه المصطفى ﷺ ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾(١).

ومن يُؤتى الكتاب والحكمة لا بُدَّ أن يكون في مقام يجعله قابلًا لتحمّل أعباء الكتاب وله قلبٌ قادر على تلقّي الحكمة من الله تعالى، وقد قال تعالى ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(٢).

وهذه خصوصية وميزة للأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

٧ ـ اصطفاؤُهم على سائر الخلق، وهذا يقتضي اتصافهم بصفات نفسية وخلقيّة تُأهّلهم لهذا المقام الرفيع الذي فيه رضى الله تعالى وحبّه وقربه، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٣).

وقال تعالى مخاطباً كليمه موسى عليه السلام ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(٤).

وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾(٥).

وقال تعالى عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾(٦).

---

(١) النساء/ ١١٣.
(٢) البقرة/ ٢٦٩.
(٣) آل عمران/ ٣٣ و٣٤.
(٤) الاعراف/ ١٤٤.
(٥) البقرة/ ١٣٠.
(٦) ص/ ٤٨.

٨ ـ وجوبُ طاعة الأنبياء والرسل وقرن طاعتهم عليهم السلام بطاعته تعالى، بل اعتبار طاعتهم طاعته، وقد ورد ذلك في أكثر من ثلاثين آية في القرآن الكريم على اختلاف في التعبير منها:

ما دلَّ على قرن طاعتهم بطاعته تعالى: كقوله تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾(١).

وقوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾(٢).

وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٣).

ومنها ما دلَّ على ما يترتّب على طاعة الله ورسوله، وعلى عدم طاعتهما:

قال تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾(٤).

وقال تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٥).

وقال تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٦).

---

(١) النور/ ٥٤.
(٢) الأنفال/ ١.
(٣) النساء/ ٥٩.
(٤) النساء/ ١٣، والفتح/ ١٧ .
(٥) النور/ ٥٢.
(٦) الأحزاب/ ٧١.

وغيرهما من الآيات الدالة على أن طاعة الله ورسوله أثرها أو نتيجتها الفوز العظيم والجنة الواسعة.

ونفهم من هذه الآيات أنَّ معصيتهما وترك طاعتهما ليس له هذا الأثر وهذه النتيجة كما تشير إلى ذلك آيات أخرى منها:

قوله تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(١).

وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾(٢).

وقوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(٣).

ولأنّ الأنبياء والرسل قد بُعثوا لإقامة الحدود الالهية وتقديم العدل والحق للإنسانية لتبلغ الكمال الإمكاني الذي يحقق لها السعادة في الدنيا والفوز والرضوان في الآخرة، كانت طاعتهم واجبة، وإلّا كان نقضاً للغرض، وقد قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(٤) وقال تعالى ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(٥).

أقول: لولا أنَّ الأنبياء والرسل لا يصدرون إلّا عن أمر الله تعالى

(١) النور/ ٥٤.
(٢) محمد/ ٣٣.
(٣) التغابن/ ١٢.
(٤) النساء/ ٦٤.
(٥) النساء/ ٨٠.

ورضاه لَمَا كانت طاعتهم واجبة، ومن كان كذلك لا يكون إلّا معصوماً، وللعصمة مقوّمات لا توجد إلّا في من اطّلع الله على سريرته وباطنه فكان محلّاً لفيض الله تعالى ومستحقاً لهذا المقام الكبير، فامتاز عن سواه من الخلق، فكان نبياً أو نبياً رسولًا أو وصياً لنبي.

٩ ـ وصفُهُم عليهم السلام بالمخلَصين وهم الذين اصطفاهم الله تعالى واختارهم لرسالته، من أخلصهم الله أي اختارهم[١]، قال تعالى ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[٢].

وقال حكاية عن النبي يوسف عليه السلام ـ لمَّا صرف عنه السوء والفحشاء التي حاولت امرأة العزيز أن توقعه فيها فلم تفلح لأنّه كان عليه السلام من العباد المخلَصين الذين اختارهم الله تعالى للنبوة، ومن كان كذلك لا يميل وَلَا يَهِمُّ ولا يعزم على المعصية فضلًا عن ارتكابها ـ ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٣] أي المصطفين المختارين للنبوّة.

وهؤلاء المخلَصين هم المستثنون من إغواء الشيطان دون سواهم، قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٤].

---

(١) راجع مجمّع البحرين/ ج٤/ ص١٦٨/ مادة خلص، ومجمع البيان/ مجلد٤/ ج١٦/ ص٤٥.
(٢) مريم/ ٥١.
(٣) يوسف/ ٢٤.
(٤) الحجر/ ٣٩، ٤٠.

وقال تعالى ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(١).

فلا يكون للشيطان عليهم سبيلٌ لاختصاصهم بما يمنع الشيطان من الوسوسة لهم بالسوء.

ومن الضروري أن لا يخلص اللهولا يختار لمقام النبوّة والرسالة إلَّا من امتاز على سائر الخلق بأحسن الصفات، وأعلاها وأكملها.

ثمَّ إنَّ الله تعالى استثنى المخلَصين من العذاب والعقاب حيث لا يأتون ما يستحقونه به قال تعالى ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(٢).

وقال ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ * فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(٣).

وقال تعالى حكاية عن إلياس عليه السلام في قومه ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ * ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(٤).

١٠ ـ قد مدحهم الله تعالى بوصفهم بالصالحين في كثير من الآيات كما وصف بعض من لم يكن نبيّاً بالصالح، فلزم أن يكون ـ إلى جانب صلاحهم ـ لهم ما زادوا به على غيرهم من الصالحين، وإلَّا لزم الترجيح بلا مرجِّح، كما أنَّ الصلاح من المفاهيم المشككة

(١) ص/ ٨٢، ٨٣.
(٢) الصافات/ ٣٨ و٣٩ و٤٠.
(٣) الصافات/ ٧٢ و٧٣ و٧٤.
(٤) الصافات/ ١٢٥ و١٢٦و ١٢٧، و١٢٨.

فهذا صالح وذاك أصلح، ولا شك أنَّ الله تعالى ـ بمقتضى حكمته ـ يقدِّم الأصلح على الصالح، وبتقديمه لبعض الصالحين على بعضٍ يكشف عن أنَّ المقدَّم أصلح من المؤخّر حيث استحقَّ تقديم الله تعالى وتخصيصه بالنبوّة والرسالة دون سواه.

قال تعالى ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[١].

وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾[٢].

وقال ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[٣].

وقال تعالى في عيسى عليه السلام ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٤].

وفي يحيى عليه السلام ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[٥].

أقول: إنَّ من كان بهذه الصفات الفكرية والخلْقية والخُلُقية يستحق من الله تعالى أن يفيض عليه النبوّة والرسالة بعد أنْ كان مُسدَّداً مؤيداً منصوراً لا يصدر في أفعاله وأقواله إلّا عن رضى الله تعالى وأمره، ذلك أنّه كان ينظر بعين الله، ويتحدّث بلسان الله تعالى، فكان في أفعاله حكيماً لا يفعل تشهياً ولا جزافاً بل لمصلحة ولغرضٍ، ولذا كان المعصوم الذي لا يزلّ ولا يخطىء، لا ينسى ولا يعصي، لا يرتكب صغيرة فضلًا عن الكبيرة.

(١) الأنعام/ ٨٥.
(٢) الأنبياء/ ٧٢.
(٣) الصافات/ ١١٢.
(٤) آل عمران/ ٤٦.
(٥) آل عمران/ ٣٩.

نعم لا شك أنَّ الأنبياء عليهم السلام يتفاوتون في ما بينهم بالكمالات النفسانيّة وغيرها حيث فيهم الكامل والأكمل، ولذا ترى فيهم العالم والأعلم، والشجاع والأشجع والصابر والأصبر، بعد كون كلّ واحد منهم عليه السلام أفضل أهل زمانه بحيث يكون المرجع والمآل بالنسبة إليهم، يستغني عنهم ولا يستغنون عنه في أمور دينهم ودنياهم.

هذا في الكتاب.

وأمّا السنَّة فالروايات كثيرة منها:

١ - ما رواه ثقة الإسلام الكليني رحمه الله بإسناده عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزنديق الذي سأله من أين أثبتَّ الأنبياء والرسل؟ قال: «إنّا لمّا أثبتنا أنَّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسوه، فيباشرهم ويباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه، ثبت أنَّ له سفراء في خلقه يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده. . . إلى أن قال عليه السلام: وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه حكماء مؤدّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم، مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة. . .»[1].

أقول: كلامه عليه السلام الأخير واضح في اختصاص الأنبياء عليهم السلام بأمور لم تثبت لغيرهم، فكانوا أهلاً لكرم الله تعالى وإفاضاته الكثيرة.

---

(١) أصول الكافي/ ج١/ كتاب الحجة/ باب الاضطرار إلى الحجة/ ح١. وعلل الشرائع/ ج١/ باب ٩٩/ ح٣.

٢ ـ من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في وصف الأنبياء: «فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرَّهم في خير مستقرّ، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام، كلّما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف، حتى أفضت كرامةُ الله سبحانه وتعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعزّ الأُرُومات مغرساً، من الشجرة التي صدع فيها أنبياءه، وانتخب منها أُمناءه. عترتُهُ خيرُ العتر، وأسرتُهُ خيرُ الأُسر، وشجرته خيرُ الشجر...»(١).

أقول: دلالته واضحة على شدّة عناية الله تعالى بأنبيائه حتى كانت رعايته لهم من لدن انعقاد نطفهم الطاهرة إلى تقلبهم في أصلاب الرجال الكريمة، وأرحام النساء المطهّرات إلى خلقهم وبعثهم.

٣ ـ ما رُوي في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام قال: «إنَّ الله عزّ وجلّ مكّن أنبياءه من خزائن لطفه وكرمه ورحمته، وعلّمهم من مخزون علمه، وأفردهم من جميع الخلائق لنفسه، فلا يشبه أخلاقهم وأحوالهم أحدٌ من الخلائق أجمعين، إذ جعلهم وسائل سائر الخلق إليه، وجعل حبَّهم وطاعتهم سبب رضاه، وخلافهم وإنكارهم سبب سخطه، وأمر كل قوم باتّباع ملّة رسولهم، ثم أبى أن يقبل طاعة أحدٍ إلّا بطاعتهم، ومعرفة حقّهم وحرمتهم ووقارهم وتعظيمهم وجاههم عند الله. فعظِّم جميع أنبياء الله، ولا تنزلهم بمنزلة أحدٍ من دونهم، **ولا تتصرّف بعقلك في مقاماتهم وأحوالهم وأخلاقهم إلاّ ببيان محكم من عند الله وإجماع أهل البصائر بدلائل تتحقّق بها فضائلُهم ومراتبهم،**

---

(١) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده/ ج١/ ص١٨٥.

وأنى بالوصول إلى حقيقة مالهم عند الله؟ وإن قابلت أقوالهم وأفعالهم بمن دونهم من النّاس أجمعين فقد أسأت صحبتهم، وأنكرتَ معرفتهم، وجهلتَ خصوصيَّتهم بالله، وسقطت عن درجة حقيقة الإيمان والمعرفة، فإيّاك ثمَّ إيَّاك»[١].

يقول الإمام الخميني المقدس رحمه الله في (الأربعون حديثاً): «إعلم أنّه لا يمكن معرفة روحانية ومقام خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله خاصة والأنبياء العظام والأولياء المعصومين عليهم السلام عامّة مع التفكّر والتدبّر وسير الآفاق والأنفس لأنَّ هؤلاء الأجلّاء من الأنوار الغيبيّة الإلهية والمظاهر التامّة للجلال والجمال وآياتهما الباهرة. وقد بلغوا في سيرهم المعنوي وسفرهم إلى الله الغاية القصوى، والفناء في الذات، ومنتهى العروج (قاب قوسين أو أدنى) رغم أنَّ صاحب المقام بالأصالة هو النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، وأنَّ الأنبياء الآخرين السالكين لطريق العروج يتّبعون الذات المقدّس للنبي الخاتم صلى الله عليه وآله، . . . إلى أن يقول رحمه الله: وإنما نكتفي بذكر رواية واحدة تتحدّث عن نورانيتهم لأن إدراك نورانيتهم يفتقر أيضاً إلى نورانية باطنية وجذبة إلهية»[٢].

٤ ـ ما دلَّ على اصطفائهم على سائر الخلق لتأدية وحيه وتبليغ رسالته، فلو لم يكونوا أهلًا لحمل أمانة الوحي وتبليغ الرسالة لَمَا حصل الاصطفاء، وكونهم أهلًا لذلك يقتضي امتيازهم عمّا عداهم من الخلق، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «واصطفى سبحانه من ولده[٣] أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لمّا

---

(١) بحار الأنوار/ ج١١/ ص٣٧/ ح٣٤ عن مصباح الشريعة.

(٢) الأربعون حديثاً/ ص٤٨٣.

(٣) الضمير راجع إلى آدم عليه السلام إذ كان كلام أمير المؤمنين عليه السلام عنه.

بدَّل أكثرُ خلقِهِ عهدَ الله إليهم فجهلوا حقَّهُ واتّخذوا الأنداد معه. . .»[1].

٥ ـ تأييد الله تعالى أنبياءه بروح القُدُس واختصاصهم بها دون سائر الخلق فقد روى محمد بن الحسن الصفّار في بصائر الدرجات الكبرى بإسناده عن الحسن بن الجهم عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال: «في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح البدن، وروح القدس، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح الإيمان، وفي المؤمنين أربعة أرواح أفقدها روح القدس: روح البدن وروح الشهوة، وروح الإيمان[2]، وفي الكفّار ثلاثة أرواح: روح البدن وروح القوة وروح الشهوة، ثم قال: روح الإيمان يلازم الجسد ما لم يعمل بكبيرة، فإذا عمل بكبيرة فارقه الروح، وروح القدس من سكن فيه فإنه لا يعمل بكبيرة أبداً»[3].

وهذه الروح موجودة مع الأئمة الأطهار عليهم السلام[4].

وروى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سألته عن علم العالم، فقال لي: يا جابر، إنَّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح الحياة، وروح القوة، وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثم قال: يا جابر، إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلّا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب»[5].

---

(١) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده/ ج١/ ص٢٣.

(٢) وروح القوة، ولعل عدم ذكرها من سهو النسّاخ.

(٣) بصائر الدرجات الكبرى/ ج٩/ باب ١٤/ ح٣، وباب ١٥ .

(٤) نفس المصدر السابق، ح٤.

(٥) أصول الكافي/ ج١/ كتاب الحجة/ باب ذكر الأرواح التي في الأئمة عليهم السلام/ ح٢.

وفي رواية أخرى: «وروح القدس لا ينام، ولا يغفل، ولا يلهو ولا يزهو، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يرى به»(١).

هذا وقد وردُ ذكر تأييد الله تعالى بعض أنبيائه بروح القدس لا سيما روح الله عيسى عليه السلام في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾(٢).

وقال تعالى مخاطباً إيّاه ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾(٣).

٦ ـ ما دلَّ على وجوب طاعتهم عليهم السلام، والعلّة في ذلك، فقد رَوَى الشيخ الأجلّ محمد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق بإسناده عن أبان بن أبي عياش عن سُليم بن قيس قال: «سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنّما الطاعة لله عزّ وجلّ ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهّرون، ولا يأمرون بمعصيته»(٤).

وروى رحمه الله في العلل والعيون عن الفضل في العلل التي ذكر أنه سمعها من الرضا عليه السلام: «فإن قال قائلٌ: فلم وجب عليهم معرفة الرّسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة؟

قيل: لأنه لمَّا أن لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملون به

(١) أصول الكافي/ ج١/ كتاب الحج/ باب ذكر الأرواح التي في الأئمة(ع)، ح٣.
(٢) البقرة/ ٨٧ و٢٥٣.
(٣) المائدة/ ١١٠.
(٤) علل الشرائع/ ج١/ ص١٢٣/ باب ١٠٢/ ح١.

مصالحهم، وكان الصانع متعالياً عن أن يُرى، وكان ضعفُهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً، لم يكن بُدٌّ لهم من رسولٍ بينه وبينهم معصومٌ يؤدّي إليهم أمره ونهيه وأدبه، ويقفهم على ما يكون به اجترار منافعهم ومضارهم، فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سدّ حاجة، ولكان يكون إتيانه عبثاً لغير منفعةٍ ولا صلاح، وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كل شيء»(١).

ولا يخفى ما في دلالة هذه الرواية على أنَّ الله تعالى لا يفعل إلّا لغرض ومنفعة وصلاح، مضافاً إلى دلالتها وسابقتها على وجوب طاعة الرسل وإلّا انتفت فائدة البعثة.

٧ ـ في أحوالهم عليهم السلام مع الله تعالى، وما ابتلاهم به ليكونوا أهلًا لكرمه وجوده، قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بالقاصعة:

«... فلو رخّص الله في الكِبر لأحدٍ من عباده لرخّص فيه لخاصة أنبيائه أوليائه. ولكنّه سبحانه كرّه إليهم التكابر، ورضي لهم التواضع. فألصقوا بالأرض خدودهم، وعفّروا في التراب وجوههم، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا أقواماً مستضعفين. وقد اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجهدة، وامتحنهم بالمخاوف، ومخضهم بالمكاره..»(٢).

أقول: وفي هذا الكلام دلالةٌ على أنَّ للنبوّة شرائط منها التواضع لله تعالى وللمؤمنين، وتحمّلهم للابتلاءات والاختبارات التي ينوءبها

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام/ ج٢/ ص١٠٠، وبحار الأنوار/ ج١١/ ص٤٠، ح٤٠ عنه وعن العلل.
(٢) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده/ ج٢/ ص١٤٣ و١٤٤.

غيرهم، وقد ورد في خبر هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ أشد الناس بلاءً الأنبياء صلوات الله عليهم، ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل»[1].

٨ ـ في ما ورد في النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ـ مضافاً إلى ما تقدّم ـ قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة أيضاً: «. . .ولقد قرن به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملكٍ من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره. . .»[2].

ويقول عليه السلام في موضع آخر: «مستقرّه خيرُ مستقرّ، ومنبتُهُ أشرف منبت، في معادن الكرامة ومماهد السلامة. قد صُرِفت نحوه أفئدةُ الأبرار، وثُنيت إليه أزمّةُ الأبصار. . .»[3].

ويقول عليه السلام في موضع ثالث: «حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله شهيداً وبشيراً ونذيراً: خير البريّة طفلًا وأنجبها كهلًا. أطهر المطهّرين شيمةً، وأجود المستمطرين ديمةً. . .»[4].

وفي موضع رابع يقول عليه السلام: «اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضياء، وذُؤابةِ العلياء، وسُرّةِ البطحاء، ومصابيح الظُلمة، وينابيع الحكمة»[5].

والواضح من هذا الكلام أن الله تعالى لا يختار لنبوّته ورسالته إلّا الخواص من النّاس، والصفوة من الأنام.

---

(١) بحار الأنوار/ ج١١/ ص٦٩/ ح٢٩ عن أمالي ابن الشيخ.
(٢) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده/ ج٢/ ص١٥٧.
(٣) المصدر السابق/ ج١/ ص١٨٧.
(٤) المصدر السابق/ ص٢٠٠، والديمة بالكسر المطر يدوم في سكون.
(٥) المصدر السابق/ ص٢٠٦.

أقول: إنّ هذا النزر اليسير ممّا ورد في أحوال الأنبياء والرسل في الكتاب والسنّة، وما خصّهم الله تعالى به من صفاتٍ وحالات امتازوا بها على سائر الخلق بعد امتيازهم بذواتهم الشريفة.

إنَّ هذا كافٍ في معرفة ما لأشخاص هؤلاء من المقام الرفيع، والمنزلة الزلفى عند المولى تعالى، حتى اصطفاهم واجتباهم وأخلصهم لرسالاته ووحيه، فاستأمنهم عليها وعلى تبليغها للنَّاس، بل جعلهم الواسطة بينه وبين خلقه، والحجّة له عليهم لئلّا يكون لهم عليه الحجّة يوم القيامة.

ومنه تعرف أنهم عليهم السلام لم يكونوا مجرَّد مبلّغين عن المرسِل، بل كانوا المبلّغين الاستثنائيين ـ إذا صحّ التعبير ـ ولذا وجبت طاعتهم والانقياد إليهم فيما يأمرون به وينهون عنه، حتى عُدّت طاعتهم طاعة لله ومعصيتهم معصية لله تعالى.

ولذا كانوا المعصومين الطاهرين المطهّرين من كل رجس ودنس ورجز، ومعصية وخطأ وسهوٍ ونسيان وجهلٍ، بل من كلّ ما يمنع من قبول قولهم والاقتداء بفعلهم والتسليم لأمرهم.

وقد ورد في دعاء الندبة ما ينبىء عن مكانة الأنبياء عليهم السلام:

«الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا محمد نبيه وآله وسلّم تسليماً. اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك إذا اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة، وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به، فقبلتهم وقرّبتهم، وقدّمت لهم الذكر العليّ

والثناء الجليّ، وأهبطت عليهم ملائكتك، وكرّمتهم بوحيك، ورفدتهم بعلمك، وجعلتهم الذريعة إليك والوسيلة إلى رضوانك...»[١].

العقل يدلُّ على ما تقدّم:

وذلك لأنَّ كل ما ذُكر من مقامات للأنبياء والرسل إنما تجتمع تحت عنوان «النبي أفضل أهل زمانه»، وهذا يقتضي أن يكون متّصفاً بأكمل الصّفات وله أرقى الحالات، لايضارعه أحد ولا يناظره فرد كما تقدم (ص٢٥).

والعقل يدرك أن من كان حجّة على النّاس يجب أن يكون عارياً من كل زلّة في الفكر وفي السلوك قبل البعثة وبعدها، أي من حين ولادته إلى التحاقه ببارئه وخالقه جلّ وعلا.

أما قبل البعثة فلئلّا يسقط محله من القلوب فلا يُقبل منه قولٌ ولا فعل، وهو نقض لغرض البعثة وفائدتها.

وأما بعد البعثة فأوضح، إذ وقوعه في المعصية ينفي كونه أسوةً حسنةً للنّاس، ولوجب أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

وصدور المنكر منه والمعصية يستلزم أيضاً سقوط فائدة البعثة لاحتمال أن يكون أمره بشيء - إذا أمر - أمراً بمنكر، ونهيه عن شيء - إذا أنهى - نهياً عن معروف. وكذلك جواز الخطأ والنسيان والسهو في حقه يقضي بجوازها في كل ما يصدر عنه، فينتفي الوثوق بأقواله وأفعاله، وهذا أوضح في منافاته لغرض البعثة.

---

(١) مفاتيح الجنان/ ص٦٦٤.

ولذا كان العقل معتضداً بالنقل دالّاً على كلّ ما تقدّم.

ولا يجوز أن يكون في زمان النبي عليه السلام - من غير الأنبياء - من هو أفضل منه لوضوح قبح تقديم المفضول على الفاضل، والفاضل على الأفضل، ولا مساوياً لقبح الترجيح بلا مرجّح، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون المبعوث والمختار أفضل أهل زمانه.

إذا تمّ ذلك نقول:

إذا كان الشخص بهذه الصفات الكاملة والملكات العالية من العصمة والطهارة، والقرب والخلوص للذات الإلهية، وإذا كان بحيث لا يصدر عن غير رضا الله تعالى، وينظر بعينه، كيف لا تكون له السلّطنة التكوينيّة على الكون؟ بعد أن كان الأمين المستأمن، والمعصوم المسدّد، والحكيم العالم، الذي إن قال لم يقل إلّا صدقاً وإن فعل لم يفعل إلّا عدلًا وصواباً.

كيف وقد ثبتت هذه السلطنة بنص الكتاب العزيز لمن هو دونه في الدرجات وأضعف منه في الصفات؟

وإليك توضيح ذلك بالتفصيل:

الدليل على إمكان الولاية التكوينيّة:

قد ورد في الحديث القدسي المعروف: «عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون»[1].

فصريح الحديث أنَّ إطاعة الله تعالى هي المقتضي في أن يكون للمطيع ما للمُطاع من انقياد الأشياء لأمره.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ النحل/ ٤٠.

فإذا حصلت الطاعة حصلت القدرة التي بها تنقاد الأشياء لصاحبها. ولا يخفى ما في هذا الحديث من الإشارة إلى عروض القدرة وعدم ذاتيتها عند المطيع، والمماثلة إنما هي من جهة الأثر لا من جهة حقيقة الاتّصاف.

وإذا كان المدار على الطاعة فلذا ترى حصول هذه القدرة لغير المعصومين عليهم السلام من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، من الإنس والجن والملائكة، لكنّها فيهم أضعف منها في المعصوم كما سيأتي.

أمّا من الإنس فقد ذكر القرآن الكريم الرجلَ من بني إسرائيل الذي آتاه الله الإسم الأعظم الذي إذا دعا به أُستجيب له، قال تعالى حكاية لخبره: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[1].

روى علي بن إبراهيم القمي بإسناده الصحيح عن الحسن بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام «أنه أُعطي بلعم بن باعورا الاسم الأعظم، فكان يدعو به فيُستجاب له، فمال إلى فرعون، فلمّا مَرَّ فرعون في طلب موسى وأصحابه، قال فرعون لبلعم: أدعو الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمر في طلب موسى وأصحابه، فامتنعت عليه حمارته فأقبل يضربها، فأنطقها الله عزّ وجلّ فقالت: ويلك على ما تضربني أتريد أن أجيء معك لتدعو على موسى نبيّ الله وقوم مؤمنين، فلم يزل يضربها حتى قتلها، وانسلخ الاسم الأعظم من لسانه وهو قوله ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ

(١) الأعراف/ ١٧٥.

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾[١]»[٢].

وبلعم هذا لم يكن معصوماً، ولكن الله مَنَّ عليه بالإسم الأعظم، وقد سلبه الله تعالى منه لمَّا أخلد إلى الدنيا واتّبع هواه، فخسر الدنيا والآخرة حيث قد اختار المعصية على الطاعة فانتفى المقتضي الذي به تنقاد الأشياء له.

وقد كان سلمان الفارسي (رض) من أهل العلم والطاعة الذين يستحقون شأناً ودرجةً من هذه الولاية، وقد ورد في بعض الروايات ما يُستفاد منه ذلك:

فقد روى أبو عمرو الكشي في رجاله بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «دخل أبو ذر على سلمان وهو يطبخ قدراً له، فبيناهما يتحدّثان إذا انكبّت القِدرُ على وجهها على الأرض، فلم يسقط من مرقها ولا ودكها[٣] شيء، فعجب من ذلك أبو ذر عجباً شديداً، وأخذ سلمان القدر فوضعها على وجهها، حالها الأوّل على النار ثانية، وأقبلا يتحدّثان، فبيناهما يتحدّثا إذا انكبّت القدر على وجهها فلم يسقط منها شيء من مرقها ولا ودكها، قال:

فخرج أبو ذر وهو مذعورٌ من عند سلمان، فبينا هو متفكّر إذ لقي أمير المؤمنين عليه السلام قال له: يا أبا ذر، ما الذي أخرجك من عند سلمان؟ وما الذي ذعرك؟ فقال له أبو ذر: يا أمير المؤمنين، رأيت سلمان صنع كذا وكذا فعجبتُ من ذلك.

---

(١) الأعراف/ ١٧٥ و١٧٦.

(٢) تفسير القمي/ج١/ ص ٢٤٩ .

(٣) الودك: الدّسم من اللحم والشحم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا ذر، إن سلمان لو حدّثك بما يعلم لقلتَ: رحم الله قاتلَ سلمان، يا أبا ذر، إن سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، وإن سلمان منّا أهل البيت عليهم السلام»[1].

ونحوه ما رواه الشيخ المفيد رحمه الله في الاختصاص مرفوعاً إلى أبي عبد الله عليه السلام وفيه: «فمرّ أبو ذر إلى أمير المؤمنين عليه السلام مسرعاً، قد ضاق صدره ممّا رأى وسلمان يقفو أثره حتى انتهى إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فنظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى سلمان فقال: يا أبا عبد الله أرفق بأخيك»[2].

وروى بإسناده المعتبر عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعته يقول: إنَّ سلمان عُلِّم الإسم الأعظم»[3].

ورواه الكشي في رجاله بإسناده آخر ـ لكنّه ضعيف ـ عن أبي بصير عنه عليه السلام[4].

وأمّا من الجن فقد ذكر القرآن الكريم ذلك في سورة النّمل قال تعالى ﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾[5].

وهذه الآية تدلّ بوضوح على ثبوت التصرّف في نظام التكوين

---

(١) اختيار معرفة الرجال/ ج١/ ص٥٩/ ح٣٣، وعنه في البحار/ ج٢٢/ ص٣٧٣/ ح١٢.

(٢) الاختصاص للشيخ المفيد/ ص١٢، وعنه في البحار/ج٢٢/ص٣٨٤/ ح٢٠، وفيه بدل بأخيك (بصاحبك).

(٣) المصدر السابق/ ص١١.

(٤) اختيار معرفة الرجال/ ج١/ ص٥٦/ ح٢٩.

(٥) النمل/ ٣٨ و٣٩.

لغير الأنبياء والأوصياء بل لغير الانسان كالجن، إلّا أنَّ تصرّفه هذا أضعف في التأثير من تصرّف وصي سليمان عليه السلام آصف بن برخيا الذي قال: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾[1].

التفاوت في درجات الولاية:

وهذا يدلُّ على حتميّة التفاوت في درجات هذه الولاية بين فرد وآخر، ويرجع ذلك إلى ما يستحقّه كلٌّ بحسب قربه وإطاعته للمولى تعالى، ولذا كان من عنده علم الكتاب أيضاً يملك من قوّة التأثير ما يفوق بدرجات ما يملكه من عنده علمٌ من الكتاب، والأخير هو آصف بن برخيا وصي سليمان عليه السلام، وسيأتي من الروايات ما يدلّ على فعل آصف عليه السلام.

والأوّل هو مولانا ومولى المتّقين أمير المؤمنين، وصي رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام كما دلّت على ذلك الروايات الكثيرة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

منها: ما رواه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره بإسناده الصحيح عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام، وسُئِل عن الذي عنده علمٌ من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب، فقال:

ما كان علم الذي عنده علمٌ من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلّا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر.

---

(١) النمل/ ٤٠.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا إن العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فُضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله»[١].

أما الملائكة فسيأتي ما يدلُّ على جعل هذه الولاية لهم، وعملهم بها بإذن الله تعالى.

أقول: بعد ما تقدَّم، إذا كانت الولاية التكوينيّة ثابتة بدرجة ما ـ بنص الكتاب ـ لمن هم دون المعصومين عليهم السلام لتحقّق شرطها وهي الإطاعة بمقتضى الحديث القدسي المتقدّم، كان من باب الأولى أن تثبت لمن كانت طاعته وصلت إلى حدّ العصمة التي من اتّصف بها لم تُسلب عنه لأنها حالة لا يصل إليها إلّا أشخاص مميَّزون قد حازوا الفضائل والكرامات[٢]، فكانوا محلّاً قابلًا للفيض الإلهي والعطاء الربَّاني إذ لا بُخل في ساحته تعالى.

فأفاض المولى تعالى عليهم عصمةً تقوى وتشتد ولا تزول، لأنَّ صاحبها لا يقارف ما يخالفها كما دلّت على ذلك الروايات ومنها ما تقدم (ص٣٩).

ولذا نرى أنَّ العصمة بهذا المعنى لم تثبت لغير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام على تفاوت فيما بينهم في درجات كمالها ورقيّها، التي حاز أعلاها وأسناها خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد الخلق أجمعين من الأوّلين والآخرين محمد صلى الله عليه وآله، ومن بعده الأئمة الأطهار من أهل بيته ولحمته وعترته وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) تفسير القمّي/ ج١/ ص٣٦٨.

(٢) وقد دلّ على ذلك ما تقدّم في الأمر الثاني من المقدمة حول مقامات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فراجع.

وسيأتي لاحقاً من الأخبار ما يفيد هذا المعنى ويدلُّ عليه بوضوح وصراحة.

نعم لا شك في سعة دائرة التصرّف في التكوين للمعصومين عليهم السلام عن غيرهم لمكان العصمة الملازمة للحكمة التي لا تنخرم... والتي تقتضي خلو تصرّفهم من اللغو والعبث ولذا كما أنَّ أفعال الله تعالى لا بُدّ أن تكون معلّلة بالأغراض لحكمته[١] فكذلك أفعالهم عليهم السلام لا بدَّ أن تكون معلَّلة بالأغراض لحكمتهم، بل العقل يقرّ بذلك لكل حكيم، على أنَّ غير المعصوم قد يخرج بأفعاله عن الحكمة كما أنه قد يصيب الحكمة في بعض منها لعدم عصمته.

أما المعصومون عليهم السلام فلا تتّصف أفعالهم إلّا بالحكمة والصواب، ولذا كانت إرادتهم موافقة لإرادة الله تعالى إذ يكونون في حركاتهم وسكناتهم، في أقوالهم وأفعالهم لا يطلبون سوى رضا الربّ ولا يصدرون عن غير رضاه.

يقول الامام المقدّس الخميني (طيّب الله ثراه): «ولا مانع من تفويض أمر العباد إلى روحانية كاملة تكون مشيئته فانية في مشيئة الحق، وإرادته ظلالٌ لإرادة الحق، ولا يروم إلّا ما يريده الحق، ولا يتحرك إلّا إذا كان موافقاً للنظام الأصلح **سواء كان في الخلق والتكوين أو التشريع والتربية** كما وردت الإشارة إلى ذلك في حديث ابن سنان الآتي في الفصل القادم بعد أسطر»[٢]، وسيأتي لاحقاً نصّ حديث محمد بن سنان عن أبي جعفر الثاني عليه السلام.

(١) كما تقدّم بيانه مفصّلاً في الجهة الثانية من الأمر الأول من المقدمة فراجع.
(٢) الأربعون حديثاً/ ص٤٨٨.

ومنه تعرف وجود المقتضي في المعصوم عليه السلام للولاية التكوينيّة بلا شك ولا مانع يحول دون ثبوتها فعلًا، وما توهم أنّه مانع سيأتي ردّه عند عرض الشبهات إن شاء الله تعالى.

وعليه، فلا شكَّ في إمكان الولاية التكوينيّة للأنبياء والأوصياء بالتقريب المتقدّم.

دلالة النقل الخاص من آيات وروايات على ثبوت هذه الولاية:

منها قوله تعالى على لسان روح الله عيسى بن مريم عليه السلام وهو يخاطب قومه:

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(١).

ولا تخفى دلالة هذه الآية على حتميّة الثبوت بحيث لو أراد روح الله عليه السلام أن يُعملها لوقعت منه وترتّب الأثر التكويني على هذا الإعمال، وسيأتي وقوعها فعلًا منه عليه السلام.

ومنها: ما دلَّ على جعلها لداود وسليمان عليهما السلام، وأيضاً فيها دلالةٌ على حتميّة الثبوت، فلا يتوقّف صدورها ووقوعها سوى على كلمةٍ أو إشارةٍ من داود وسليمان عليهما السلام، وقد وقعت منهما عليهما السلام كما سيأتي.

قال تعالى ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا

(١) آل عمران/ ٤٩.

فَٰعِلِينَ﴾(١). وقال ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾(٢).

وقال عزّ وجلّ ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾(٣).

ومنها: ما أعطاه الله تعالى لبعض ملائكته من الولاية على بعض التكوينيات على أن تمتثل فيها بأمره تعالى وإذنه، فهناك ملائكة المطر، وملائكة الرزق، وملائكة الأعمار، وملائكة الموت، وملائكة العذاب.

ولعلّ أبرزها ملائكة العذاب، وملائكة الموت أو ملَكَ الموت.

وهناك كثير من الآيات نسبت الاماتة والوفاة إلى الملك مع أنّ الموت والحياة بيد الله تعالى، قال تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾(٤).

وقال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٥).

ثم انظر إلى الولاية التي منحها الله تعالى لملك الموت التي جعلته يتحكّم بروح وجسد الشخص المتوفّى كما يُصوّر ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له يقول:

«.. بل كيف يتوفّى الجنين في بطن أمّه، أيلج عليه من بعضِ

(١) الأنبياء/ ٧٩.
(٢) سبأ/ ١٠.
(٣) الأنبياء/ ٨١.
(٤) السجدة/ ١١.
(٥) النحل/ ٢٨.

جوارحها؟ أم الرّوح أجابته بإذن ربّها؟ أم هو ساكن معه في أحشائها؟ . . . »[١].

نعم هذه الولاية مقيَّدة بعملٍ محدّد لا تجوزه إلى غيره، لأنّها ولاية مجعولةٌ من قبل المولى الخالق، وللجاعل أن يوسّع ويضيق حدود المجعول لكنها بإذنه على كل حال.

فإذا صحّ أن يجعل الله الولاية على الكونيات لأفراد مخلوقين في حدٍّ ما، صح أن يجعلها لأفرادٍ مخلوقين أيضاً في حدٍّ أوسع وأشمل لمصلحة اقتضت ذلك لأنَّ أفعاله تعالى معلَّلة بالأغراض.

ومنها: ما دلّ من الأخبار على هذا الجعل للنبي الأكرم ﷺ ففي تفسير علي بن ابراهيم بإسناده عن يونس قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اجتمعوا أربعة عشر رجلًا أصحاب العقبة ليلة أربعة عشر من ذي الحجة، فقالوا للنبي ﷺ: ما من نبي إلّا وله آية، فما آيتك في ليلتك هذه؟

فقال النبي ﷺ: ما الذي تريدون؟

فقالوا: إن يكن لك عند ربك قدر فأمر القمر أن ينقطع قطعتين.

فهبط جبرئيل عليه السلام وقال: «يا محمد، إنّ الله يقرؤك السلام ويقول لك إني قد أمرت كل شيء بطاعتك. . . »[٢] ثم أمر القمر باستجاب.

ووجه الاستدلال في قول جبرئيل عليه السلام عن الله تعالى «إني قد

(١) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده/ ج١/ ص٢٢١.
(٢) تفسير القمي/ ج٢/ ص٣١٨.

أمرت كل شيء بطاعتك» فإنه صريح في جعل الولاية للنبي ﷺ على كل شيء وليس على خصوص انقطاع القمر قطعتين. ثم أعمل النبي ﷺ هذه الولاية بالآية التي طلبها القوم وحصل انقطاع القمر إلى قطعتين ثم عاد والتحم كما كان بأمر منه ﷺ.

ومنها: ما رواه السيد المرتضى رحمه الله في عيون المعجزات في حديث طويل عن أبي عبد الله عليه السلام: إن النبي ﷺ قال لبعض أصحابه: «عيسى بن مريم يحيى الموتى بإذن الله وأنا إن شئتم أحييت لكم موتاكم...»[(١)].

وإحياء الموتى وإرجاعهم إلى الحياة تصرّف في أمر تكويني قد أُعطي للنبي ﷺ كما أُعطي لعيسى عليه السلام.

ومنها: جعلُها للأوصياء كما في قصة آصف بن برخيا مع عرش بلقيس، وإحضاره، لنبي الله سليمان عليه السلام قبل أن يرتد إليه طرفه.

قال تعالى في حكاية ذلك من خلال عرض الحوار الذي دار بين سليمان عليه السلام ووصيه آصف عليه السلام وعفريت من الجن ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ * قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[(٢)].

وفي قوله هذا جزمٌ بقدرته على إحضار ذاك العرش العظيم من مكان إلى آخر مع البعد الشاسع بينهما، وقد أتى به فعلًا كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) بحار الأنوار/ ج٤١/ ص١٩٤/ ح٥.
(٢) النمل/ ٣٨ و٣٩ و٤٠.

أقول: إذا كان للأوصياء هذه الولاية والسلطنة فإنها للأنبياء من باب أولى كما هو واضح.

وإذا ثبتت لمعصوم فقد ثبتت لكل معصوم لوحدة المقتضي فيهم مع تفاوت في حدودها ومقدار وقوعها منهم عليهم السلام.

ومنها: ما دلّ على ثبوتها للأئمة من أهل بيت النبوّة عليهم السلام:

فقد روى محمد بن الحسن الصفّار بإسناده الصحيح عن أبي بصير قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام وقلت لهما: أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، قلت: فرسول الله وارث الأنبياء، علم كل ما علموا؟ فقال لي: نعم، فقلت: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرؤا الأكمه والأبرص؟ فقال لي: نعم بإذن الله...»[١].

أقول: هذا الحديث يدل صراحة على أنّ كل ما كان عند الأنبياء عليهم السلام فقد صار عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وكل ما صار عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقد انتقل إلى الأئمّة من أوصيائه عليهم السلام. ومن ذلك إحياء الموتى، وتسخير الرياح والجبال وإطاعة الأشياء لهم عليهم السلام.

وفي خبر عبد الصمد بن بشير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً كان عند آصف منها حرفٌ واحد، فتكلّم به فخسف الأرض ما بينه، وبين سرير بلقيس ثم تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كان أسرع من طرفة عين، وعندنا من الاسم اثنان وسبعون حرفاً، وحرفٌ عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب المكتوب»[٢].

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى/ ج٦/ باب٣/ ح١.
(٢) المصدر السابق/ ج٤/ باب١٢/ ح٧.

وفي الكافي بإسناده عن محمد بن سنان قال: «كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة فقال: يا محمد، إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيته ثمّ خلق محمداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوّض أمورها إليهم، فهم يحلّون ما يشاؤون، ويحرّمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلّا أن يشاء الله تبارك وتعالى. ثم قال: يا محمد هذه الديانة التي من تقدّمها مرق ومن تخلّف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد»[١].

دليل الأولوية في النبي وأهل بيته:

نعم لا نحتاج في إثبات إمكان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إلى هذه الروايات بعد ثبوت كونه صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء، وأنَّ أوصياءه عليهم السلام أفضل الأوصياء بل أفضل الخلق بعده صلى الله عليه وآله.

ولا شك في أنَّ ما ثبت للفاضل يثبت للأفضل بل وزيادة ففي خبر هارون بن موسى قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام في مفازةٍ فحمحم فرسه فخلّى عنه عنانه فمرَّ الفرس يتخطّى إلى أن بال وراث ورجع، فنظر إليّ أبو الحسن وقال: «إنه لم يُعط داودُ شيئاً إلّا وأُعطي محمد صلى الله عليه وآله وآل محمدٍ أكثر منه»[٢].

وروى المفيد رحمه الله في الاختصاص بإسناده الصحيح عن أبان الأحمر قال: «قال الصادق عليه السلام: يا أبان كيف تنكر النّاس قول أمير المؤمنين عليه السلام لمّا قال: «لو شئت لرفعت رجلي هذه فضربت بها

(١) أصول الكافي/ ج١/ كتاب الحجة/ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله/ ح٥.
(٢) بحار الأنوار/ ج٤٩/ ص٥٧/ ح٧٢.

صدر ابن أبي سفيان بالشام فنكسته عن سريره»؟ ولا ينكرون تناول آصف وصيّ سليمان عرش بلقيس وإتيانه سليمان به قبل أن يرتدّ طرفه؟

أليس نبيّنا ﷺ أفضل الأنبياء ووصيّه أفضل الأوصياء؟ أفلا جعلوه كوصي سليمان عليه السلام؟ حكم الله بيننا وبين من جحد حقّنا وأنكر فضلنا»[١].

وفي الخبر عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام بعد أن ذكر ما للأنبياء من فضل في إحياء الموتى وفهم منطق الطير، وأن النبي ﷺ ورث النبيين كلهم بل هو ﷺ أعلم منهم قال عليه السلام: «وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تُسيَّر به الجبال، وتقطّع به البلدان، وتُحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإنّ في كتاب الله لآيات ما يُراد بها أمرٌ إلّا أن يأذن الله به»[٢].

أقول: لو أردنا استعراض ما دلّ من الآيات، بل والروايات بشكل خاص على ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء والأوصياء لا سيما خاتمهم ﷺ وآله الطاهرين عليهم السلام لطال بنا المقام، إلّا أنّ فيما أثبتناه كفايةً لمن ألقى السمع وهو شهيد، ولمن أراد الزيادة فليرجع إلى كتب علمائنا الاعلام لا سيما ما صُنِّف في فضائل النبي ﷺ وأهل بيته كبصائر الدرجات الكبرى للصفّار وأصول الكافي للكليني وغيرهما ليرى عظيم نِعَمَ الله تعالى على عباده وفضله العميم عليهم عليهم السلام[٣].

---

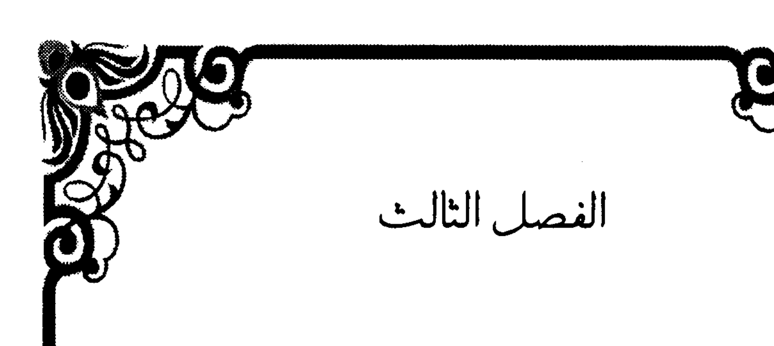
(١) بحار الأنوار/ ج١٤/ ص١١٥/ ح١٢ عن الاختصاص.
(٢) المصدر السابق/ ص١١٢/ ح٤ عن الكافي.
(٣) سيأتي ذكر بعض الروايات الأخرى الدالة على ذلك لاحقاً فانتظر.

الوقوع دليل الامكان:

على أنَّ في الوقوع خيرَ دليلٍ على الامكان، وقد ثبت وقوع هذه الولاية من الأنبياء والأوصياء بصريح القرآن والسنّة كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

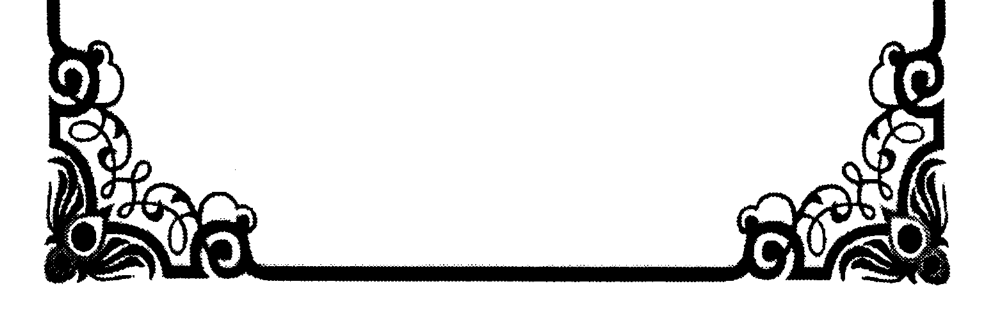
وبعد كل ماتقدَّم تعلم فساد قول من أنكر أو ينكر هذه الولاية بدعوى من هنا وأخرى من هناك، سيأتي التعرّض لها في الفصل الخامس إن شاء الله تعالى فانتظر.

هذا تمام الكلام في الفصل الثاني.



الفصل الثالث

في وقوع هذه الولاية وصدورها من المعصومين عليهم السلام من أنبياء وأوصياء





الفصل الثالث

في وقوع هذه الولاية وصدورها من المعصومين عليهم السلام من أنبياء وأوصياء

تمهيد:

من الواضح أنّ معرفة وقوع فعلٍ من الأفعال في ما مضى من الأزمنة يتوقف على وجود إخبارات مُعتبرة نقطع أو نطمئن معها إلى وقوع ذلك الفعل، وقد وصلتنا إخباراتٌ كثيرة تفيد وقوع التصرّف في عالم التكوين من عددٍ من الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام جميعاً).

وهذه الإخبارات الكثيرة هي مقطوعة الصدور والدلالة مما نقطع معه بثبوت الولاية التكوينية للمعصومين عليهم السلام.

أمّا كونها مقطوعة الصدور فلوجودها في القرآن الكريم وهو مقطوع الصدور عن المولى تعالى عند المسلمين جميعاً.

أو لوجودها في روايات المعصومين عليهم السلام التي بلغت بكثرتها حدَّ التواتر المعنوي، وهو مفيد للقطع أيضاً عن الأصوليين.

والمراد من كون هذه الإخبارات مقطوعة الدلالة، للتصريح فيها بوقوع هذه التصرّفات منهم بما لا يداخله احتمال الخلاف كما سترى، فكانت نصّاً في الوقوع والتحقّق.

ومن المعلوم أن الدليل إذا كان مقطوع الصدور كان حجّة بل

هو أبرز مصاديق الحجّة، وهل الحجيّة إلّا للقطع؟، ومع دلالته الصريحة يثبت المطلوب.

إذا توضّح ذلك فإليك بعض تلك الإخبارات:

١ ـ إخبار الله تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام بوقوع ذلك منه عليه السلام لمّا خاطبه تعالى معدّداً نعمه عليه ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ﴾[1].

وهي تدلُّ على وقوع هذه الأعمال منه عليه السلام في أي وقت، وليس مجرّد إخبار على أنّ له ذلك.

وقد ورد في الأخبار ما يدلُّ على هذا الوقوع منها: إحياؤه سام بن نوح عليه السلام، فقد روى العيّاشي في تفسيره عن محمد بن أبي عمير عمّن ذكره رفعه قال: «إنَّ أصحاب عيسى عليه السلام سألوه أن يحيي لهم ميتاً، فقال: «فأتى بهم إلى قبر سام بن نوح، فقال له: قم بإذن الله يا سام بن نوح.

قال: فانشقَّ القبر، ثمَّ أعاد الكلام فتحرَّك، ثمَّ أعاد الكلام فخرج سام بن نوح. فقال له عيسى: أيها أحبّ إليك، تبقى أو تعود؟

قال: فقال: يا روح الله، بل أعود، إنّي لأجد حرقة الموت أو قال: لذعة الموت في جوفي إلى يومي هذا»[2].

---

(١) المائدة/ ١١٠.

(٢) تفسير العيّاشي/ ج١/ ص١٧٤/ ح٥٠، والبرهان في تفسير القرآن/ ج١/ ص٢٨٤/ ح٥، وتفسير الصافي/ ج١/ ص٣٣٨.

وفيه بإسناده عن أبان بن تغلب وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام «إنه سُئِل هل كان عيسى ابن مريم أحيى أحداً بعد موته حتى كان له أكل ورزق ومدّة وولد؟

فقال: نعم، إنه كان له صديقٌ مواخٍ له في الله تبارك وتعالى، وكان عيسى عليه السلام يمرُّ به وينزل عليه، وإنَّ عيسى غاب عنه حيناً ثم مرَّ به ليسلّم عليه فخرجت إليه أمُّه فسألها عنه؟ فقالت: مات يا رسول الله. فقال: أفتحبّين أن تريَه؟ قالت: نعم.

فقال لها: فإذا كان غداً فآتيكِ حتى أحييه لكِ بإذن الله تبارك وتعالى.

فلمّا كان من الغد أتاها فقال لها: انطلقي معي إلى قبره، فانطلقا حتى أتيا قبره، فوقف عليه عيسى عليه السلام، ثمَّ دعا الله عزّ وجلّ فانفرج القبر وخرج ابنها حيّاً، فلمّا رأته أمّه، ورآها بكيا، فرحمهما عيسى عليه السلام، وقال له عيسى عليه السلام: أتحبّ أن تبقى مع أمك في الدنيا؟

فقال: يا نبي الله بأكل ورزق ومدَّة أم بغير أكل ورزق ومدَّة؟

فقال له عيسى عليه السلام: بأكلٍ ورزقٍ ومدَّةٍ، وتعمّر عشرين سنة وتزوّج ويولد لك. قال: نعم إذاً.

قال: فدفعه عيسى إلى أمّه فعاش عشرين سنة وتزوّج وولد له»[1].

---

(١) تفسير العيّاشي/ ج١/ ص١٧٤/ ح٥١، والروضة من الكافي/ ص٣٣٧/ ح١، وعنهما البرهان في تفسير القرآن/ ج١/ ص٢٨٤، ح٦، وتفسير الصافي/ ج١/ ص٣٣٨.

وفي مجمع البيان: «قال وهب: وربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم خمسون ألفاً، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يطق أتاه عيسى يمشي إليه»[(١)].

وفي خبر أبي الجارود عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام في قوله ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾، فإنَّ عيسى عليه السلام كان يقول لبني اسرائيل: إني رسول الله إليكم، وإني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وأُبريء الأكمه والأبرص، الأكمه هو الأعمى.

قالوا: ما نرى الذي تصنع إلّا سحراً، فأرنا آية نعلم إنك صادق، قال: أرأيتم إن أخبرتكم ﴿بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ يقول: ما أكلتم في بيوتكم قبل أن تخرجوا وما ذخرتم الليل، تعلمون أني صادق؟ نعم. فكان يقول للرجل: أكلت كذا وكذا، وشربت كذا وكذا، ورفعت كذا وكذا، فمنهم من يقبل منه فيؤمن، ومنهم من ينكر فيكفر، وكان لهم في ذلك آية إن كانوا مؤمنين»[(٢)].

٢ ـ ما ورد في تسخير أمورٍ كونية لداود وسليمان عليهما السلام كما تقدَّم ذلك (ص٥٢) قال علي بن إبراهيم القمّي في تفسيره: «ثم ذكر ما أعطى داود، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ أي سبحي لله ﴿وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ قال: كان داود إذا مرَّ في البراري يقرأ الزبور تسبّح الجبال والطير والوحوش معه، وألاَنَ الله له الحديد مثل الشمع حتى كان يتّخذ منه ما أحب... إلى أن قال: وقوله

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن/ مجلد٢/ ج٣/ ص٨٧.
(٢) تفسير القمّي/ ج١/ ص١١٠.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ قال: كانت الريح تحمل كرسي سليمان فتسير به في الغداة مسيرة شهر وبالعشي مسيرة شهر..»[1].

وفي مجمع البيان: قال ابن عباس: «إذا أراد أن ترخي أرخيت، وذلك قوله ﴿رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أي بأمر سليمان ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾، وهي أرض الشام لأنها كانت مأواه،... وقيل: كانت الريح تجري في الغداة مسيرة شهر وفي الرواح كذلك، وكان يسكن بعلبك ويُبنى له بيت المقدس، ويحتاج إلى الخروج إليها وإلى غيرها.

قال وهب: وكان سليمان يخرج إلى مجلسه فتعكف عليه الطير ويقوم له الجن والإنس حتى يجلس على سريره، ويجتمع معه جنوده ثم تحمله الريح حيث أراد»[2].

٣ ـ وقوع هذه الولاية من وصي سليمان آصف بن برخيا عليه السلام كما حكى ذلك القرآن الكريم وقد تقدّم ذكر الآيات المتعلّة به (ص٢٦). والدليل على وقوعها منه عليه السلام قوله تعالى ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[3].

والمروي عن أهل البيت عليهم السلام في ذلك أنَّ آصف تكلم بحرف

---

(١) تفسير القمّي/ ج٢/ ص١٧٤.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن/ مجلد٤/ ج١٧/ ص٥٠.
(٣) النمل/ ٤٠.

عنده من اسم الله الأعظم فخسق بالأرض ما بينه وبين السرير فتناوله بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين. (راجع ص٥٥).

وروي عن الصادق عليه السلام «إنّ الأرض طويت له، إذا أراد طواها»[١]،

وفي الاختصاص بإسناده عن أبي بصير وزرارة قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما زاد العالم على النظر إلى ما خلفه وما بين يديه مدَّ بصره، ثم نظر إلى سليمان عليه السلام ثم مدَّ بيده فإذا هو ممثّل بين يديه»[٢].

٤ ـ وقد حصلت لموسى عليه السلام لمَّا استسقاه قومه فضرب الحجر بعصاه فانفجرت منه الماء، ولمّا لحق به فرعون وجنوده ضرب البحر بعصاه فانشق الماء عن يمينه ويساره حتى جاوزه موسى ومن معه، ثم غرق به فرعون ومن معه، وقد حكى الله تعالى ذلك في كتابه العزيز فقال: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ﴾[٣].

و﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ﴾[٤].

---

(١) بحار الأنوار/ ج١٤/ ص١١٠/ ح٢.
(٢) المصدر السابق/ ح١، عن الاختصاص.
(٣) البقرة/ ٦٠.
(٤) الأعراف/ ١٦٠.

و﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[1].

و﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2].

فإنه عليه السلام قد تصرّف تصرفاً تكوينياً ولو بواسطة عصاه وبوحي من الله تعالى إلّا أنَّ الله تعالى جعله المباشر الفعلي لهذا التصرّف، ولو لم يُرد الله تعالى لموسى هذه الولاية لأخرج له الماء دون ضرب العصا، وكذلك فعل في انفلاق البحر.

وهذه كرامةٌ لموسى عليه السلام.

وكذلك قد وقعت منه عليه السلام في إحياء الميت بضربه ببعض البقرة كما حكى الله تعالى ذلك، ودلّت عليه الروايات مفسّرة ومفصّلة:

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

إلى قوله ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3].

وقد روى الصدوق في المعاني، والعيّاشي في تفسيره عن البزنطي عن الرضا عليه السلام في خبر طويل: قال: «. . . فاشتروها

(١) طه/ ٧٧.
(٢) الشعراء/ ٦٣.
(٣) البقرة/ ٦٧ ـ ٧٣.

وجاءوا بها فأمر بذبحها - أي موسى - ثم أمر أن يضربوا الميّت بذنبها، فلما فعلوا ذلك حيي المقتول، وقال: يا رسول الله، إنَّ ابن عمّي قتلني دون من ادّعى عليه قتلي، فعلموا بذلك قاتله...»[١].

٥ - صدور هذه الولاية فعلاً من شيخ الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

وروى القمّي في تفسيره بالإسناد الصحيح عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنَّ إبراهيم عليه السلام نظر إلى جيفةٍ على ساحل البحر تأكله سباع البرّ وسباع البحر ثمّ تحمل السّباع بعضها على بعضٍ فيأكل بعضها بعضاً، فتعجّب ابراهيم عليه السلام فقال ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فأخذ ابراهيم عليه السلام الطاووس والديك والحمام والغراب، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي قطعهن ثم اخلط لحمهنّ وفرّقهنّ على عشرة جبال، ثمّ خذ مناقيرهن وادعهنَّ يأتينك سعياً، ففعل ابراهيم ذلك وفرّقهنّ على عشرة جبال ثم دعاهنّ، فقال: «أجبنني بإذن الله تعالى»، فكانت تجمع ويتألف لحم كل واحد وعظمه إلى رأسه وطارت إلى ابراهيم، فعند ذلك قال ابراهيم: إن الله عزيز حكيم»[٣].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن للعلاّمة الطباطبائي/ ج١/ ص٢٠٤ عن المصدرين المذكورين.
(٢) البقرة/ ٢٦٠.
(٣) تفسير القمّي/ ج١/ ص٩٨.

فقد أَذِنَ الله تعالى لابراهيم عليه السلام أن يتصرّف فيحيي الطيور المقطعة الأوصال، المخلوطة الأجزاء بكلمة منه عليه السلام بإذن الله تعالى. واللّافت أنه عليه السلام لم يدعُ الله تعالى بدعاء ما بل أمرها فاستجابت.

٦ ـ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يُعمل هذه الولاية.

زيادة تأكيد: قد تقدم أنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أفضل الخلق من الأوَّلين والآخرين باتفاق جميع المسلمين من الموالين والمخالفين، ومقتضى أفضليته صلى الله عليه وآله أن يثبت له كل ما ثبت لمن سبقه من الأنبياء والمرسلين ضرورة أنَّ ما ثبت للفاضل ثبت للأفضل ولا عكس، بل ثبتت له الزيادة على الفاضل وإلّا لَمَا كان أفضل منه. وقد تقدّم بعض ما يدلُّ على أفضليته صلى الله عليه وآله من الأخبار وإليك المزيد:

١ ـ روى ثقة الاسلام الكليني رحمه الله في الكافي بإسناده عن الحسين بن عبد الله قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله سيّد ولد آدم؟

فقال: «كان والله سيّد من خلق الله، وما برأ الله بريَّة خيراً من محمد صلى الله عليه وآله»[1].

٢ ـ وروى بإسناده الصحيح عن حمّاد عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما برأ الله نسمة خيراً من محمد صلى الله عليه وآله»[2].

---

(١) أصول الكافي/ ج١/ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله/ ح١.
(٢) نفس المصدر السابق/ ح٢.

٣ ـ وروى بإسناده عن صالح بن سهل عن أبي عبد الله عليه السلام «أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأي شيء سبقت الأنبياء[١] وأنت بُعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: «إني كنت أوّل من آمن بربي وأوّل من أجاب حين أخذ الله ميثاق النبيّين ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾، فكنت أوّل نبيٍّ قال: بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله»[٢].

٤ ـ ما رواه في قصص الأنبياء بالإسناد عن عمر بن الخطّاب قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أكل آدم من الشجرة رفع رأسه إلى السماء فقال: أسألك بحق محمد إلّا رحمتني، فأوحى الله إليه: ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك، لمّا خلقتني رفعتُ رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب: لا إله إلّا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحدٌ أعظم عندك قدراً ممّن جعلتَ اسمه مع اسمك.

فأوحى الله إليه يا آدم إنَّه لآخرُ النبيّين من ذريّتك، فلولا محمد ما خلقتك»[٣].

أقول: ذكرت هذا الحديث لدلالته على أفضليّة المصطفى صلى الله عليه وآله على سائر الخلق، وإلّا فالثابت عندنا ـ نحن الإمامية ـ أن آدم عليه السلام سأل الله بمحمد وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) فتاب عليه.

وإذا وقع من الأنبياء تصرّفٌ في التكوين، كان ذلك للنبي صلى الله عليه وآله من باب الأولى لأنَّه أفضلهم وسيّدهم.

---

(١) أي سبقهم بالفضل كما هو واضح من سياق الحديث.
(٢) أصول الكافي/ ج١/ باب مولدالنبي صلى الله عليه وآله/ ح٦.
(٣) بحار الأنوار/ ج١٦/ ص٣٦٧/ ح٧٣.

أمّا ما دلّ على تصرّف رسول الله صلى الله عليه وآله في التكوينيات فمنه:

١ ـ ما رواه السيد المرتضى (قده) في عيون المعجزات بإسناده عن عيسى الهرهري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ فلاناً وفلاناً وابن عوف أتوا النبي صلى الله عليه وآله ليعتبوه، فقال الأوّل: اتّخذ الله ابراهيم خليلًا فما صنع بك ربُّك؟

وقال الثاني: كلّم الله موسى تكليماً فما صنع بك ربُّك؟

وقال ابن عوف: عيسى بن مريم يحيي الموتى بإذن الله فما صنع بك ربُّك؟

فقال للأوّل: اتّخذ الله ابراهيم خليلًا واتّخذني حبيباً.

وقال للثاني: كلّم الله موسى تكليماً من وراء حجاب، وقد رأيت عرش ربي وكلّمني.

وقال للثالث: عيسى بن مريم يحيي الموتى بإذن الله، وأنا إن شئتم أحييتُ لكم موتاكم. قالوا: قد شئنا، وعلى ذلك داروا.

فأرسل النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام فدعاه فأتاه، فقال له: أقدمهم على القبور، ثم قال لهم: اتّبعوه فلمّا توسّط الجبّانة تكلّم بكلمة فاضطربت وارتجّت قلوبهم، ودخلهم من الذعر ما شاء الله، وامتقعت ألوانهم ولم تقبل ذلك قلوبهم.

فقالوا: حسبك يا أبا الحسن، أقِلنا أقالك الله، فأمسك عن استتمام كلامه ودعائه، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقالوا له: أقِلنا، فقال لهم: «إنّما رددتم على الله لا أقالكم الله

يوم القيامة»[١].

أقول: إنَّ بعث النبي ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام مع القوم لإعطائهم آية كمثل طلب سليمان عليه السلام من وصيه آصف بن برخيا إحضار عرض بلقيس من اليمن، وسببه بيان أنه عليه السلام الحجة والامام من بعده لئلّا يُختلف في ذلك، فقد روى العيّاشي في تفسيره بالإسناد قال: «التقى موسى بن محمد بن علي بن موسى[٢] ويحيى بن أكثم فسأله، قال: فدخلت على أخي علي بن محمد عليه السلام إذ دار بيني وبينه من المواعظ حتى انتهيت إلى طاعته، فقلت له: جُعلت فداك، إن ابن أكثم سألني عن مسائل أُفتيه فيها. فضحك، ثم قال: هل أفتيته فيها؟ قلت: لا، قال: ولم؟ قلت: لم أعرفها.

قال: ما هي؟ قلت: قال: أخبرني عن سليمان أكان محتاجاً إلى علم آصف بن برخيا؟ ثم ذكرت المسائل الأُخر.

قال: اكتب يا أخي، بسم الله الرحمن الرحيم: سألت عن قول الله تعالى في كتابه ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ فهو آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف، لكنه أحب أن تعرف أمّته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله، ففهّمه الله ذلك لئلاّ يختلف في أمامته ودلالته كما فهّم سليمان في حياة داود ليعرف إمامته ونبوّته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق»[٣].

---

(١) بحار الأنوار/ ج٤١/ ص١٩٤/ ح٥.

(٢) وهو المعروف بموسى المبرقع أخي أبي الحسن الهادي عليه السلام من أبيه وأمه.

(٣) الميزان في تفسير القرآن/ ج١٥/ ص٣٧١ عن تفسير العياشي، ورواه المفيد رحمه الله في الاختصاص/ ص٩٣.

٢ ـ ما ورد في الخطبة القاصعة لأمير المؤمنين عليه السلام يقول فيها:

«ولقد كنتُ معه صلى الله عليه وآله لمّا أتاه الملأ من قريش فقالوا له: يا محمد إنك قد ادّعيت عظيماً لم يدّعِهِ آباؤك ولا أحدٌ من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنَّك نبيٌّ ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحرٌ كذّاب، فقال صلى الله عليه وآله: وما تسألون؟

قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك. فقال صلى الله عليه وآله: إنّ الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا: نعم.

قال: فإني سأُريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنّكم لا تفيئون إلى خير، وإنّ فيكم من يُطرحَ في القليب، ومن يحزّب الأحزاب[١]، ثم قال صلى الله عليه وآله:

«يا أيتها الشجرة إن كنتِ تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يديّ بإذن الله».

فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دويٌّ شديدٌ وقصفٌ كقصف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفةً، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله، وببعض أغصانها على منكبي، وكنتُ عن يمينه صلى الله عليه وآله. فلمّا نظر القوم إلى ذلك قالوا ـ عُلُـوّاً واستكباراً ـ: فمرها فليأتك نصفُها، فأمرها بذلك فأقبل

(١) القليب: هو قليب بدر (أي البئر) طرح فيه نيّف وعشرون من أكابر قريش قتلوا في بدر على يد المسلمين. والأحزاب: الفئات المتفرّقة من القبائل اجتمعوا على حربه صلى الله عليه وآله في وقعة الخندق المعروفة بوقعة الأحزاب، والذي حزّبهم هو أبو سفيان الأموي.

إليه نصفها كأعجب إقبالٍ وأشدّه دوياً، فكادت تلتفّ برسول الله ﷺ.

فقالوا ـ كفراً وعُتُوّاً ـ: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان. فأمره ﷺ فرجع. فقلت أنا: لا إله إلّا الله، فإني أوّل مؤمنٍ بك يا رسول الله، وأوّل من أقرَّ بأنَّ الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوّتك وإجلالاً لكلمتك»[1].

أقول: قوله ﷺ «إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك...» إلخ.

بيانٌ منه ﷺ أنَّ كل شيء راجع إلى قدرة الله تعالى، ولولا هذه القدرة لَمَا تمكن هو ﷺ من تحقيق ما يطلبون، وهو إرجاعٌ إلى العلّة الحقيقية والمؤثّر الحقيقي، وإنّ ما يفعله من عداه من خرق للعادة والطبيعة إنّما يرجع إليه تعالى بالذات، ولذا ترى أنه ﷺ لمّا أمر الشجرة بالانقلاع والوقوف بين يديه علّقه على إذن الله تعالى، ليشير إلى ما تقدّم.

وقوله ﷺ لهم: «فإني سأُريكم ما تطلبون» إسنادٌ إليه ليبيّن أنَّ الله تعالى قد أعطاه نعمة إطاعة الأشياء له ﷺ، وجعل لكلمته أثراً في هذه الإطاعة، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام في إثبات هذه الإطاعة «... تصديقاً لنبوّتك وإجلالاً لكلمتك».

نعم لا شك أنَّ المصلحة الداعية إلى أمر النبي ﷺ للشجرة هي إعطاء السائلين آيةً على نبوّته وصدقه فيها.

وإذا جاز أن تصدر هذه الولاية منه ﷺ لمصلحةٍ جاز ذلك

(١) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده/ ج٢/ ص١٥٨ ـ ١٥٩.

لكل مصلحة يقدّرها بحكمته وعصمته المانعة عن أيّ خطأ في التقدير.

٣ ـ روى علي بن ابراهيم القمّي في تفسيره بإسناده عن يونس قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اجتمعوا أربعة عشر رجلًا أصحاب العقبة ليلة أربعة عشر من ذي الحجة، فقالوا للنبي صلى الله عليه وآله: ما من نبيّ إلّا وله آية، فما آيتك في ليلتك هذه؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ما الذي تريدون»؟

فقالوا: «إن يكن لك عند ربك قدر فأمر القمر أن ينقطع قطعتين». فهبط جبرئيل عليه السلام وقال: «يا محمد، إنَّ الله يُقرؤك السلام ويقول لك: إني قد أمرت كل شيء بطاعتك»، فرفع رأسه، فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فانقطع قطعتين، فسجد النبي صلى الله عليه وآله شكراً لله، وسجد شعيتنا، ثم رفع النبي صلى الله عليه وآله رأسه ورفعوا رؤسهم، ثم قالوا: «يعود كما كان» فعاد كما كان، ثم قالوا: «ينشق رأسه» فأمره فانشق، فسجد النبي صلى الله عليه وآله شكراً لله وسجد شيعتنا..»[(١)].

٤ ـ روى محمد بن الحسن الصفّار بالإسناد الصحيح عن حمّاد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ من النّاس من يؤمن بالكلام، ومنهم من لا يؤمن إلّا بالنظر، إنَّ رجلًا أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: أرني آية.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لشجرتين اجتمعا فاجتمعتا، ثم قال تفرّقا فافترقا ورجع كل واحدة منهما إلى مكانهما، قال: فآمن الرجل»[(٢)].

---

(١) تفسير القمّي/ ج٢/ ص٣١٨.
(٢) بصائر الدرجات الكبرى للصفّار /ج٥/ باب١٣/ ح١.

٥ - وروى بإسناد أيضاً عن حمّاد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ النبي صلى الله عليه وآله في مكان ومعه رجلٌ من أصحابه وأراد قضاء حاجته فقال: ائت الخشبتين يعني النخلتين فقل لهما: اجتمعا بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال لهما: اجتمعا بأمر رسول الله فاجتمعا، فاستتر بهما النبي صلى الله عليه وآله فقضى حاجته ثم قام فجاء الرجل فلم يرَ شيئاً»[١].

٦ - ورُوي عن عمّار بن ياسر أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض أسفاره، قال: «فنزلنا يوماً في بعض الصحارى القليلة الشجر، فنظر إلى شجرتين صغيرتين فقال لي: يا عمّار، سرّ إلى الشجرتين فقل لهما: يأمركما رسول الله أن تلتقيا حتى يقعد تحتكما، فأقبلت كل واحدة إلى الأخرى حتى التقتا فصارتا كالشجرة الواحدة ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله خلفهما فقضى حاجته، فلمّا أراد الخروج قال: لترجع كل واحدة إلى مكانها، فرجعتا كذلك»[٢].

٧ - وروى الصفّار بإسناده عن كريم قال: «سمعتُ من يرويه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قاعداً فذكر اللحم وقَرَمَهُ إليه[٣]، فقام رجلٌ من الأنصار، وله عناق[٤]، فانتهى إلى امرأته، فقال: هل لك في غنيمة؟ قالت: وما ذاك؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يشتهي اللحم.

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى/ ج٥/ باب١٣/ ح٩.

(٢) بحار الأنوار/ ج١٧/ ص٣٦٤/ ح٣.

(٣) القرم بالتحريك: شدّة شهوة اللحم حتى لا يصبر عنه، وفي الحديث «البيض يذهب بقرم اللحم» مجمع البحرين/ ج٦/ ص١٣٧.

(٤) العَناق: الأنثى من أولاد المَعز، وقيل: الأنثى قبل استكمالها الحول. (الافصاح في فقه اللغة/ ج٢/ ص٧٨٣).

قالت: خذها، ولم يكن لهم غيرها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرفها، فلمّا جاء بها ذُبحت، وشُويت ثم وضعها للنبي صلى الله عليه وآله فقال لهم: كلو ولا تكسروا عظماً. قال: فرجع الأنصاري وإذا هي تلعب على بابه»[١].

هذا بعضُ ما صدر من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من إعمالٍ لولايته في عالم التكوين، وكما يُلاحظ ليست كلها صادرة في مقام إثبات دعوى النبوّة نعم كلها صدرت لمصلحة بعد وضوح أنه صلى الله عليه وآله لا يأتي إلّا بما فيه المصلحة لعصمته.

٧ ـ وقوع الولاية التكوينية من الأئمة الأطهار من أهل بيت النبوّة عليهم السلام: إذ بعد ثبوتها إمكاناً في حقّهم عقلًا ونقلًا كما تقدّم، فقد ورد ما يدلُّ على وقوعها منهم عليهم السلام في موارد عديدة اقتضتها المصلحة.

وقبل ذكر بعض هذه الأدلة يحسن ذكر بعض ما ورد من روايات في حق الأطهار عليهم السلام ممّا يقتضي تفضيلهم على سائر الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله منها:

١ ـ خبر هارون بن موسى المتقدّم عن أبي الحسن عليه السلام أنهم وَجَدُهُم أُعطُوا أكثر مما أُعطي داود عليه السلام (راجع ص٥٧).

٢ ـ خبر ابراهيم عن أبيه عن أبي الحسن الأوّل (تقدم ص٥٨) وفيه أنَّ النبي صلى الله عليه وآله ورث النبيين جميعاً وكان أعلم منهم، وهم عليهم السلام ورثوا النبي صلى الله عليه وآله فهم أعلم من الأنبياء ما خلا نبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله.

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى/ ج٦/ باب٤/ ح٤، وعنه في البحار/ ج١٨/ ص٦/ ح٥.

٣ ـ صحيح أبي حمزة الثمالي قال: «كنت عند علي بن الحسين عليه السلام فلمّا انتشرن العصافير وصوّتن، فقال: يا أبا حمزة أتدري ما يقلن؟ فقلت: لا. قال: يقدّسن ربّهن ويسألنه قوت يومهنّ، ثم قال: يا أبا حمزة، علّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء»(١).

٤ ـ خبر عبد الله بن بكير الهجري عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنَّ عليَّ بن أبي طالب كان هبةَ الله لمحمد صلى الله عليه وآله، ورث علم الأوصياء، وعلم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين»(٢).

٥ ـ صحيح علي بن جعفر عن أبي الحسن عليه السلام «أنه سمعه يقول: لو أُذن لنا لأخبرنا بفضلنا، قال: قلت له: العلم منه؟

قال: فقال لي: العلم أيسر من ذلك»(٣).

٦ ـ خبر ابن أبي عمير عن المفضّل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لو أُذن لنا أن نُعلم الناس حالنا عند الله ومنزلتنا منه لما احتملتم...»(٤).

٧ ـ روى الصفّار بالاسناد الصحيح عن عبد الصمد بن بشير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما، وكان مع موسى عليه السلام أربعة أحرف، وكان مع ابراهيم ستة أحرف، وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً، وكان مع نوح ثمانية أحرف،

---

(١) الاختصاص/ ص٢٩٣.
(٢) نفس المصدر السابق/ ص٢٧٩.
(٣) بحار الأنوار/ ج٢٥/ ص٣٧١/ ح٢١.
(٤) نفس المصدر السابق/ ص٣٨٥/ ح٤١.

وجمع ذلك كلّه لرسول الله صلى الله عليه وآله، إن اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً وحجب عنه واحداً»[١].

وفي خبر ضريس الوابشي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قلت له جُعلت فداك، قول العالم: أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك.

قال: فقال: يا جابر، إنَّ الله جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، فكان عند العالم منها حرف واحد، فانخسفت الأرض ما بينه وبين السرير حتى التقت القطعتان وحوّل من هذه على هذه، وعندنا اسم الله الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرفٌ في علم الغيب المكنون عنده»[٢].

٨ ـ صحيح أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان سليمان عنده اسم الله الأكبر الذي إذا سأله أعطى، وإذا دعا به أجاب، ولو كان اليوم لاحتاج إلينا»[٣].

٩ ـ وروى الصفّار بإسناده عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «قلت له: أسألك ـ جعلت فداك ـ عن ثلاث خصال، إنفِ عنّي فيه التقيّة. قال: فقال: ذلك لك.

قلت: أسألك عن فلان وفلان. قال: فعليهما لعنة الله بلعناته كلها، ماتا والله وهما كافران مشركان بالله العظيم.

ثم قلت: الأئمة يحيون الموتى ويبرؤون الأكمه والأبرص

(١) بصائر الدرجات الكبرى/ ج٤/ باب١٢/ ح٤.
(٢) نفس المصدر السابق/ ح٦.
(٣) المصدر السابق/ ج٤/ باب نادر من الباب/ ح٢.

ويمشون على الماء؟ قال: ما أعطى الله نبياً شيئاً قط إلّا وقد أعطاه محمداً ﷺ، وأعطاه ما لم يكن عندهم.

قلت: وكل ما كان عند رسول الله ﷺ فقد أعطاه أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: نعم، ثم الحسن والحسين عليهما السلام، ثم من بعد كل إمام إماماً إلى يوم القيامة مع الزيادة التي تحدث في كل سنة وفي كل شهر، ثمَّ قال: إي والله في كل ساعة»[1].

١٠ ـ صحيح أبي بصير عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام المتقدم (ص٥٦).

وجوب التسليم لآل محمد ﷺ:

أقول: من الواضح أنَّ مفاد هذه الأخبار وما شابهها وهي كثيرة جداً أنَّ ما ثبت للنبي الأكرم ﷺ ثبت للأئمّة الأطهار عليهم السلام ما خلا النبوّة، فهم في العلم والطاعة سواء، نعم لكلٍّ فضله.

بل في بعض ما تقدَّم التصريح أنَّهم عليهم السلام يحيون الموتى ويبرؤن الأكمه الأبرص ويشفون المرضى، وغير ذلك ممّا ثبت للأنبياء والأوصياء بل وأكثر من ذلك أيضاً.

وإذا عظم ذلك على بعض الناس ولم تقبله نفسه جهلًا أو قصوراً فلا ينكره بل يردّه إلى أهله وإلّا كان بذلك خارجاً عن ولاية الأئمّة عليهم السلام كما عن باقر آل محمد عليه السلام، ففي صحيح أبي عبيدة الحذّاء قال:

(١) بصائر الدرجات الكبرى/ ج٦/ باب٣/ ح٢.

«سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: أما والله، إنَّ أحبَّ أصحابي إليَّ أفقههم وأورعهم وأكتمهم لحديثنا، وإنَّ أسوأهم عندي حالًا وأمقتهم إليَّ الذي إذا سمع الحديث يُنسب إلينا ويُروى عنا فلم يعقله ولم يقبله قلبُه، اشمأزّ منه، وجحده، وكفر بمن دان به، وهو لا يدري لعلَّ الحديث من عندنا خرج وإلينا سند فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا»[1].

وقد تقدَّم الحديث عن الصادق عليه السلام مستنكراً على النَّاس إنكارهم قول أمير المؤمنين عليه السلام بضربه معاوية بن أبي سفيان بالشام، ولا ينكرون تناول آصف لعرش بلقس من اليمن إلى فلسطين، ثم يقول عليه السلام: «أليس نبيّنا صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء، ووصيّه أفضل الأوصياء؟ أفلا جعلوه كوصي سليمان عليه السلام؟ حكم الله بيننا وبين من جحد حقّنا وأنكر فضلنا».

فالواجب على المؤمن الموالي أن يسلّم لهم عليهم السلام فيما ورد عنهم في حقّهم وفضلهم ومنزلتهم لدى الله تعالى.

ولا يُكبر ما سمعه أو قرأه عنهم عليهم السلام مما لا يحتمله بعقله القاصر، فإنَّ لهم مع الله حالات لا يصل إليها أحدٌ من الخلق بل لا يدركها ولا يحتملها، ولذلك تراهم عليهم السلام لم يُفصحوا عنها وأمروا بالتسليم والإقرار لهم عليهم السلام:

١ ـ ففي خبر سدير الصيرفي قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني تركت مواليك مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض. قال: فقال: وما أنت وذاك، إنما كُلّف الناس ثلاثة: معرفة الأئمّة، والتسليم لهم فيما

(١) بصائر الدرجات الكبرى/ ج١٠/ باب ٢٢/ ح١ .

ورد عليهم، والردّ إليهم فيما اختلفوا فيه»[١].

٢ ـ وحسنة عبد الله الكاهلي قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: لو أنَّ قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وحجّوا البيت وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أصنع خلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم كانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢]، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام عليكم بالتسليم»[٣].

٣ ـ وخبر يحيى بن زكريا الأنصاري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعته يقول: من سرّه أن يستكمل الإيمان كلّه فليقل: القول منّي في جميع الأشياء قول آل محمد، فيما أسرّوا وما أعلنوا، وفيما بلغني عنهم، وفيما لم يبلغني»[٤].

٤ ـ وروى الصفّار بإسناده عن داود بن فرقد عن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أتدري بما أُمروا؟ أُمروا بمعرفتنا والرد إلينا والتسليم لنا»[٥].

(١) أصول الكافي/ ج١/ باب التسليم وفضل المسلمين/ ص٣٩٠/ ح١، وبصائر الدرجات/ ج١٠/ باب٢٠/ ح٢٠.
(٢) النساء/ ٦٨.
(٣) أصول الكافي/ ج١/ باب التسليم وفضل المسلمين/ ص٣٩٠/ ح٢.
(٤) المصدر السابق/ ص٣٩١/ ح٦.
(٥) بصائر الدرجات الكبرى/ ج١٠/ باب٢٠/ ح٣٢.

أمرهم عليهم السلام أصعب مستصعب:

وهذا الأمر منهم عليهم السلام بالتسليم لهم والرد إليهم ـ كما تقدّم ـ لعدم إدراك أو احتمال أمرهم عليهم السلام مع الله عزّ وجلّ كما دلّت على ذلك الأخبار أيضاً:

ففي حسنة سدير الصيرفي قال: «كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام أعرض عليه مسائل قد أعطانيها أصحابنا إذا خطرت بقلبي مسألة فقلت: جُعلت فداك، مسألة خطرت بقلبي الساعة. قال: أليست من المسائل؟

قلت: لا. قال: وما هي؟ قلت: قول أمير المؤمنين: إنّ أمرنا صعبٌ مسصعب لا يعرفه إلّا ملك مقرّب أو نبي مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان.

فقال: نعم، إنَّ من الملائكة مقرّبين وغير مقرّبين، ومن الأنبياء مرسلين وغير مرسلين، ومن المؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين، وإنّ أمركم هذا عرض على الملائكة فلم يقرّ به إلّا المقرّبون، وعرض على الأنبياء فلم يقرّ به إلّا المرسلون، وعرض على المؤمنين فلم يقرّ به إلّا الممتحنين»[1].

وفي صحيح فضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ أمركم هذا لا يعرفه ولا يقرّ به إلّا ثلاثة ملك مقرّب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان»[2].

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى/ ج١/ تتمة (باب أن أمرهم صعب مستصعب)/ ح١ والصحيح (الممتحنون).
(٢) نفس المصدر السابق/ ح٤.

وفي خبر عمرو بن شمر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنَّ حديثنا صعبٌ مستصعب أجرد ذكوان وعر شريف كريم، فإذا سمعتم منه شيئاً ولانت له قلوبكم فاحتملوه واحمدوا الله عليه، وإن لم تحتملوه ولم تطيقوه فردّوه إلى الامام العالم من آل محمد صلى الله عليه وآله، فإنّما الشقيّ الهالك الذي يقول: والله ما كان هذا.

ثم قال: يا جابر، إنَّ الإنكار هو الكفر بالله العظيم»[١].

وفي بعض الروايات إن معنى: أجرد، طري، وذكوان: ذكي[٢].

بل ورد في بعضها أنّ أمرهم عليهم السلام لا يحتمله حتى هؤلاء الثلاثة كما في خبر أبي الصامت عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ حديثنا صعب مستصعب، شريف كريم، ذكوان ذكي وعر، لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمن ممتحن.

قلت: فمن يحتمله جُعلت مذاك.

قال: من شئنا يا أبا الصامت، قال أبو الصامت: فظننت أنَّ لله عباداً هم أفضل من هؤلاء الثلاثة»[٣].

أقول: إذا كان لآل محمد الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) هذا الشأن العظيم، والمنزلة الرفيعة عند المولى جلَّ وعلا بحيث فاقت كل منزلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف لا يثبت لهم ما ثبت للأنبياء بل وزيادة؟

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى/ ج١/ باب١١/ ح٩.
(٢) المصدر السابق/ ح٨.
(٣) المصدر السابق/ ح١٠.

وعلى كل حال فإن صريح الأخبار المتقدّمة كفيل بإثبات ما ثبت للرسول صلى الله عليه وآله لهم عليهم السلام لأنهم ورثته ومن معدنه وأصله، فما كان عنده صار عندهم إلّاالوحي والنبوّة، ولرسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام فضلهما على الجميع[١].

يقول المقدّس السيد الخميني (طيّب الله أثره) في «الأربعون حديثاً»: «إعلم أنَّ لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام مقاماً روحانياً شامخاً في السير المعنوي إلى الله يفوق قدرة استيعاب الانسان حتى من الناحية العلمية، وأسمى من عقول ذوي العقول وأعظم من شهود أصحاب العرفان. كما يُستفاد من الأحاديث الشريفة أنّهم (صلوات الله عليهم) يشاركون الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في مقام الروحانية، وأنّ أنوارهم المطهّرة كانت تسبّح وتقدّس للذّات المتعال قبل خلق العالم»[٢].

إذا تمّ ما تقدَّم، فقد ذكرنا أنّه ورد في الأخبار ما يدلُّ على وقوع التصرّف في التكوينيات منهم عليهم السلام، **من ذلك ما وقع من خير الأوصياء أمير المؤمنين** عليه السلام:

١ ـ روى في الخرائج عن الصادق عليه السلام قال: «كان قومٌ من بني مخزوم لهم خؤولة من علي عليه السلام، فأتاه شابٌ منهم يوماً فقال: يا خال، مات تربٌ لي فحزنت عليه حزناً شديداً.

قال: فتحب أن تراه؟ قال: نعم. فانطَلَقَ بنا إلى قبره فدعا الله وقال: «قم يا فلان بإذن الله»، فإذا الميّت جالسٌ على رأس القبر وهو يقول: «وينه وينه»، سألا معناه، لبيك لبيك سيدنا.

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى/ ج١٠/ باب٨/ ح١ وح٢ وح٣.
(٢) الأربعون حديثاً/ ص٤٨٩.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما هذا اللسان؟ ألم تمت وأنت رجلٌ من العرب»؟ قال: نعم، ولكنّي مُتُّ على ولاية فلان وفلان، فانقلب لساني على ألسنة أهل النار»[1].

٢ ـ مرسل سعد بن خالد الباهلي «إن رسول الله صلى الله عليه وآله اشتكى وكان محموماً، فدخلنا عليه مع علي عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألمّت بي أمُّ مِلدَم، فحسر عليٌ يده اليمنى فوضعها على صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «يا أمّ مِلدَم أخرجي، فإنّه عبد الله ورسوله». قال: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله استوى جالساً ثم طرح عنه الإزار وقال: يا علي، إنَّ الله فضّلك بخصال، وممّا فضّلك به أن جعل الأوجاع مطيعة لك، فليس من شيء تزجره إلّا انزجر بإذن الله»[2].

أقول: أراد النبي صلى الله عليه وآله بذلك أن يبيّن عظيم فضل وصيّه كما فعل سليمان عليه السلام مع وصيه آصف لمّا أمره بإحضار عرش بلقيس كما تقدّم.

٣ ـ روى في الخرائج عن عمر بن أُذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «دخل الأشتر على علي عليه السلام، فسلّم فأجابه ثم قال: ما أدخلك عليَّ في هذه الساعة؟

قال: حبُّك يا أمير المؤمنين.

قال عليه السلام: فهل رأيت ببابي أحداً؟

قال: نعم، أربعة نفر، فخرج الأشتر معه فإذا بالباب أكمه

---

(١) بحار الأنوار/ ج٤١/ ص١٩٢/ ح ٢ عن الخرائج، ونحوه في بصائر الدرجات للصفّار/ ج٦/ باب٤/ ح٣.

(٢) بحار الأنوار/ ج٤١/ ص٢٠٢/ح١٦، عن الخرائج لكن فيه عن سعيد بن أبي خالد الباهلي.

ومكفوف[1] ومقعد وأبرص، فقال عليه السلام: ما تصنعون ههنا؟

قالوا: جئناك لِما بنا، فرجع ففتح حُقاً له فأخرج رقاً صفراء فقرأ عليها فقاموا كلهم من غير علّة»[2].

ومن ذلك ما وقع من الصديقة الشهيدة سيدة نساء العالمين عليها السلام فقد روى ابن شهر آشوب في مناقبه عن أبي جعفر الطوسي في اختيار معرفة الرجال عن أبي عبد الله عليه السلام، وعن سلمان الفارسي «إنه لمّا استخرج أمير المؤمنين عليه السلام من منزله خرجت فاطمة حتى انتهت إلى القبر فقالت: خلّوا عن ابن عمّي، فوالذي بعث محمداً بالحق لئِن لم يخلّوا عنه لأنشرنَّ شعري ولأضعنَّ قميص رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسي ولأصرخنَّ إلى الله، فما ناقة صالح بأكرم على الله من ولدي.

قال سلمان: فرأيت والله أساس حيطان المسجد تقلّعت من أسفلها حتى لو أراد رجلٌ أن ينفذ من تحتها نفذ، فدنوتُ منها وقلت: يا سيّدتي ومولاتي، إنَّ الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة، فرجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها، فدخلت في خياشيمنا»[3].

هذا ولم تدعو بعدُ سيد النساء عليها السلام.

---

(1) الأكمه: بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الميم هو الذي يولد أعمى (مجمع البحرين/ ج٦/ ص٣٦٠). والمكفوف: الضرير، وهو من كان يبصر ثم كُفّ بصره أي منع من البصر (أنظر «مجمع البحرين/ ج٥/ ص١١٤).

(2) بحار الأنوار/ ج٤١/ ص١٩٥/ ح٧ عن الخرائج.

(3) عوالم العلوم في فاطمة الزهراء عليها السلام/ ص١١٩/ ح١.

ومن ذلك ما وقع من السبط الشهيد عليه السلام، فقد روى ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب بإسناده عن زرارة بن أعين قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يحدّث عن آبائه عليهم السلام أنَّ مريضاً شديد الحمّى عادَهُ الحسين عليه السلام فلمّا دخل من باب الدار طارت الحمّى عن الرجل فقال له: رضيتُ بما أُوتيتم به حقّاً حقّاً، والحمّى تهرب عنكم.

فقال له الحسين عليه السلام: «والله ما خلق الله شيئاً إلّا وقد أمره بالطاعة لنا» قال: فإذا نحن نسمع الصوت ولا نرى الشخص يقول: لبّيك.

قال: «أليس أمير المؤمنين أمرك أن لا تقربي إلّا عدوّاً أو مذنباً لكي تكوني كفّارة لذنوبه، فما بال هذا؟»[1].

أقول: انظر إلى قوله عليه السلام: «والله ما خلق الله شيئاً إلّا وقد أمره بالطاعة لنا» لتعرف ما لهم عند الله تعالى، وما أنعم به عليهم من الولاية والطاعة على المخلوقات جميعاً.

وروى الراوندي في الخرائج عن أبي خالد الكابلي عن يحيى ابن أم الطويل قال: «كنّا عند الحسين عليه السلام إذ دخل عليه شابٌ يبكي، فقال له الحسين: ما يبكيك؟ قال: «إنَّ والدتي توفّيت في هذه الساعة ولم توصي، ولها مال وكانت قد أمرتني أن لا أحدث في أمرها شيئاً حتى أُعلمك خبرها».

فقال الحسين عليه السلام «قوموا حتى نصير إلى هذه الحرّة»، فقمنا

(١) بحار الأنوار/ ج٤٤/ ص١٨٣/ ح٨.

معه حتى انتهينا إلى باب البيت الذي توفّيت فيه المرأة مسجّاة، فأشرف على البيت ودعا الله ليحييها حتى توصيَ بما تحب من وصيّتها، فأحياها الله، وإذا المرأة جلست وهي تتشهّد، ثمّ نظرتْ إلى الحسين عليه السلام فقالت: «أدخل البيت يا مولاي ومرني بأمرك». فدخل وجلس على مخدّة ثم قال لها: «وصيِّ يرحمكِ الله».

فقالت: «يا ابن رسول الله، لي من المال كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فقد جعلتُ ثلثهُ إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك، والثلثان لإبني هذا إن علمت أنّه من مواليك وأوليائك، وإن كان مخالفاً فخذه إليك، فلا حقَّ في المخالفين في أموال المؤمنين»، ثم سألته أن يصلّي عليها وأن يتولى أمرها، ثم صارت المرأة ميّتة كما كانت»[1].

ما وقع من الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقد روى ابن الشيخ الطوسي في أماليه فقال: «خرج علي بن الحسين عليه السلام إلى مكّة حاجاً حتى انتهى إلى وادٍ بين مكّة والمدينة فإذا هو برجل يقطع الطريق قال: فقال لعليٍّ انزل، قال: تريد ماذا؟ قال: أريد أن أقتلك وآخذ ما معك.

قال: فأنا أُقسمك ما معي وأُحلّك. قال: فقال اللّص: لا.

قال: فدع معي ما أتبلّغ به. فأبى. قال: فأين ربُّك؟

قال: نائم. قال: فإذا أسدان مقبلان بين يديه فأخذ هذا برأسه وهذا برجليه. قال: زعمت أن ربّك عنك نائم»[2].

---

(1) بحار الأنوار/ ج٤٤/ ص١٨٠/ ح٣ عن الخرائج.
(2) المصدر السابق/ ج٤٦/ ص٤١/ ح٣٦.

وروى في كمال الدين بإسناده عن الباقر عليه السلام أنّ حبابة الوالبيّة دعا لها عليٌّ بن الحسين عليه السلام فردّ الله عليها شبابها، وأشار إليها بإصبعه فحاضت لوقتها ولها يومئذٍ مئة وثلاث عشرة سنة»[١].

ما وقع من الباقر عليه السلام، جابر بن عبد الله الأنصاري عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل يقول جابر فيه: «... فقام فأخذ بيدي وأدخلني البيت ثم قال: وضرب برجله الأرض فإذا شبيهٌ بعنق البعير قد خرجت من ذهب ثم قال لي: يا جابر، أنظر إلى هذا ولا تخبر به أحداً إلّا من تثق به من اخوانك. إنَّ الله أقدرنا على ما نريد، ولو شئنا أن نسوق الأرض بأزمّتها لسقناها»[٢].

ما وقع من صادق أهل البيت عليهم السلام **ومن أبيه الباقر** عليه السلام كما في صحيح أبي بصير قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام وقلت لهما: أنتما ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم.

قلت: فرسول الله وارث الأنبياء، عِلمَ كلما علموا؟ فقال لي: نعم.

فقلت: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرىء[٣] الأكمه والأبرص؟ فقال لي: نعم بإذن الله. ثم قال: أدنِ منّي يا أبا محمد، فمسح يده على عيني ووجهي، وأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شيء في الدار.

قال: أتحبّ أن تكون هكذا ولك ما للنّاس وعليك ما عليهم يوم

---

(١) بحار الأنوار/ ج٤٦/ ص٢٧/ ح١٣.
(٢) بصائر الدرجات الكبرى/ ج٨/ باب٢/ ح٥، وعنه في البحار/ ج٤٦/ ص٢٣٩/ ح٢٣.
(٣) وفي البحار (تبرؤا) وهو الموافق لسياق الكلام وانتظامه.

القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنّة خالصاً؟

قلت: أعود كما كنت. قال: فمسح على عيني فعدتُ كما كنت.

قال عليٌّ[١]: فحدّثت به ابن أبي عمير فقال: أشهد أنَّ هذا حقّ كما أنَّ النهار حق»[٢].

وروى الصفّار بإسناده عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أبو عبد الله البلخي معه فانتهى إلى نخلة خاوية، فقال: أيتها النخلة السامعة المطيعة لربّها أطعمينا ممّا جعل الله فيك.

قال: فتساقط علينا رطبٌ مختلفٌ ألوانه فأكلنا حتى تضلّعنا.

فقال البلخي: جُعلت فداك، سنّة فيكم كسنّة مريم»[٣].

وورد نحوه أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام في خبر علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير وكان معه أبو أميّة الأنصاري فأكل وقال عليه السلام:

«هذه الآية فينا كالآية في مريم إذ هزّت إليها جزع النخلة فتساقط عليها رُطباً جنياً»[٤].

وروى أيضاً بإسناده عن جميل بن درّاج قال: «كنت عند أبي

---

(١) الظاهر أنه علي بن الحكم الوارد في سند الرواية حيث رواها عن مثنى الحنّاط عن أبي بصير.
(٢) بصائر الدرجات الكبرى/ ج٦/ باب٣/ ح١.
(٣) المصدر السابق/ ج٥/ باب١٣/ ح٥، وعنه في البحار/ ج٤٧/ ص٧٦/ ح٤٥.
(٤) المصدر السابق / ح٢.

عبد الله عليه السلام، فَدَخَلَتْ عليه امرأة، فذكرتْ أنها تركت ابنها بالملحفة على وجهه ميتاً. قال لها: لعلّه لم يمت فقومي فاذهبي إلى بيتك واغتسلي وصلّي ركعتين وادعي وقولي: يا من وهبه لي ولم يكُ شيئاً جدّد لي هبته، ثم حرّكيه ولا تخبري بذلك أحداً. قال: فَفَعَلَتْ فجاءت فحرّكته، فإذا هو قد بكى»[١].

ما وقع من العبد الصالح الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام:

فقد روى الصدوق رحمه الله في عيون الأخبار بإسناده الصحيح عن علي بن يقطين قال: «استدعى الرَّشيد رجلًا يُبطل به أمر أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ويقطعه ويخجله في المسجد، فانتدب له رجل معزم[٢]، فلمَّا حضرت المائدة عمل ناموساً على الخبز[٣]، فكان كلّما رام أبو الحسن عليه السلام تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه، واستفزّ من هارون الفرح والضحك لذلك، فلم يلبث أبو الحسن عليه السلام أن رفع رأسه إلى أسد مصوَّر على بعض السّتور فقال له: يا أسد خُذْ عدوَّ الله. قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السّباع فافترست ذلك المعزم، فخرّ هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم، فطارت عقولهم من هول ما رأوه، فلمَّا أفاقوا من ذلك قال هارون لأبي الحسن عليه السلام: سألتك بحقّي عليك لمَّا سألت الصورة أن تردّ الرجل.

فقال: إن كانت عصا موسى ردّت ما ابتلعته من حبال القوم

---

(١) بصائر الدردات/ ج٦/ باب٤/ ح١، وعنه في البحار/ ج٤٧/ ص٧٩/ ح٦١.
(٢) الذي يعمل العزائم وهي الرُّقي.
(٣) الناموس اسم يكتب على القطعة من الخبز بحيث لا يمكن لأحد أن يتناوله إلاّ طار من بين يديه.

وعصيّهم فإنَّ هذه الصورة تردّ ما ابتلعته من هذا الرجل»(١).

وروى الصفّار بإسناده عن علي بن المغيرة قال: «مَرَّ العبد الصالح عليه السلام بامرأة بمنى وهي تبكي وصبيانها حولها يبكون، وقد ماتت بقرةٌ لها فدنا منها ثم قال لها: «ما يبكيك يا أمة الله»؟.

قالت: «يا عبد الله، إنَّ لي صبياناً أيتاماً فكانت لي بقرة، معيشتي ومعيشة صبياني كان منها، فقد ماتت، وبقيت منقطعة بي وبولدي ولا حيلة لنا». فقال لها: «يا أمة الله، هل لكِ أن أحييها لكِ»؟.

قال: فألهمت أن قالت: «نعم يا عبد الله».

قال: «فتنحّى ناحية، فصلى ركعتين ثم رفع يديه وحرَّك شفتيه ثم قام فمرّ بالبقرة فنخسها أو ضربها برجله فاستوت على الأرض قائمة، فلمَّا نظرت المرأة إلى البقرة قد قامت صاحت: «عيسى بن مريم وربِّ الكعبة».

قال: فخالط الناس وصار بينهم، ومضى بينهم (صلى الله عليه وآله وعلى آبائه الطاهرين)»(٢).

ما وقع من الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

في كتاب النجوم روى عن مفيد بن جُنيد الشامي قال: «دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام فقلت له: قد كثر الخوض فيك وفي عجائبك، فلو شئتَ أتيتَ بشيء وحدّثته عنك. فقال: وما تشاء؟

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام/ ج١/ ص٩٥/ ح١.
(٢) بصائر الدرجات الكبرى/ ج٦/ باب٤/ ح٢، وعنه في البحار/ ج٤٨/ ص٥٥/ ح٦٢، ونقل مثله عن الكافي بإسناده الصحيح عن عبد الله بن المغيرة (ح٦٣).

قال: تحيي لي أبي وأمي. فقال: انصرف إلى منزلك فقد أحييتهما.

فانصرف والله وهما في البيت أحياء، فأقاما عنده عشرة أيام ثمّ قبضهما الله تبارك وتعالى»[١].

وفي بصائر الدرجات للصفّار روى بإسناده عن إبراهيم بن موسى قال: «ألحت[٢] على أبي الحسن الرضا في شيء أطلبه منه وكان يعدني، فخرج ذات يوم يستقبل والي المدينة وكنت معه فجاء إلى قرب قصر فلان فنزل في موضع تحت شجرات ونزلت معه أنا وليس معنا ثالث، فقلت: جعلتُ فداك هذا العيد قد أظلّنا ولا والله ما أملك درهماً فيما سواه.

فحكَّ بسوطه الأرض حكّاً شديداً ثمَّ ضرب بيده، فتناول بيده سبيكة ذهب فقال: انتفع بها واكتم ما رأيت»[٣].

ما وقع من الامام علي بن محمد الهادي عليه السلام:

روى علم الهدى رحمه الله في عيون المعجزات عن أبي جعفر بن جرير الطبري عن عبد الله بن محمد البلويّ عن هاشم بن زيد قال:

«رأيت علي بن محمد صاحب العسكر وقد أُتي بأكمه فأبرأه، ورأيته تهيّء من الطين كهيئة الطير وينفخ فيه فيطير فقلت له: لا فرق

---

(١) بحار الأنوار/ ج٤٩/ ص٦٠/ ج٧٨ عن كتاب النجوم.

(٢) في البحار (ألححت).

(٣) بصائر الدرجات الكبرى/ ج٨/ باب٢/ ح٢، ورواها في البحار/ ج٤٩/ ص٤٧/ ح٤٥ عنه وعن الاختصاص. وأنظر أيضاً ص٨٧/ ح٨٨.

بينك وبين عيسى عليه السلام فقال: «أنا منه وهو منّي».

وقال: حدّثني أبو الحتف المصري يرفع الحديث برجاله إلى محمد بن سنان الرامزي رفع الله درجته قال: «كان أبو الحسن علي بن محمد عليه السلام حاجّاً، ولمّا كان في انصرافه إلى المدينة وجد رجلاً خراسانياً واقفاً على حمار له ميّت يبكي ويقول «على ماذا أحمل رحلي»؟.

فاجتاز عليه السلام به فقيل له: «هذا الرجل الخراساني ممّن يتولّاكم أهل البيت»، فدنا من الحمار الميّت فقال: «لم تكن بقرة بني إسرائيل بأكرم على الله تعالى منّي، وقد ضُرب ببعضها الميت فعاش»، ثمّ وكزه برجله اليمنى وقال: «قم بإذن الله» فتحرّك الحمار ثم قام. ووضع الخراساني رحله عليه وأتى به المدينة وكلّما مرّ عليه السلام أشاروا عليه بإصبعهم وقالوا: «هذا الذي أحيى حمار الخراساني»[(١)].

الخلاصة:

أقول: لا يبقى أمام المطّلع على هذه الروايات التي ذكرتُ نماذجَ منها مجالٌ للتشكيك في حقّ المعصوم عليه السلام في هذه الولاية والسلطنة التكوينية.

بل هذه الروايات التي تُعدّ بالعشرات تفيدنا تواتراً معنوياً بثبوت هذه الولاية لهم عليهم السلام، ومعه لسنا بحاجة إلى تصحيح الأسانيد على أنّ جملةً منها معتبرة السَّند.

ثم إنَّ من هذه الروايات بل من تمام الأدلة النقلية المتقدّمة نستفيد أموراً منها:

---

(١) بحار الأنوار/ ج٥٠/ ص١٨٥/ ح٦٣ عن عيون المعجزات.

الأمر الأوّل: إنَّ إعمال الولاية التكوينيّة من قبل صاحبها لا يحتاج إلى التلفظ بقول مخصوص، وبالتالي فإن وقوعها له طرق شتى ما دامت الإرادة لذلك موجودة، ومن هذه الطرق:

١ ـ الدعاء كما في بعض الروايات.

٢ ـ الأمر المجرّد عن أي دعاء كما في عدّة موارد تقدّمت.

٣ ـ بإشارة أو حركة من يدٍ أو رجل كما في موارد أخرى أيضاً تقدّمت.

٤ ـ بتوكيل من المعصوم عليه السلام لشخص آخر كما في بعث النبي صلى الله عليه وآله عماراً ليأمر الشجرتين بالاجتماع، وغير ذلك.

والجامع لكل هذه الطرق والوسائل إرادة المعصوم عليه السلام، التي تكفي مجرَّدة عن كل وسيلة لتحقيق المراد له عليه السلام ويكون مصداقاً للحديث القدسي المعروف (عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون).

والمعصومون الأطهار عليهم السلام قد بلغوا من الطاعة ما صغرت عندها الطاعات، فكانوا المقرّبين المخلَصين، فصح أن يكونوا المصداق الأبرز والفرد الأكمل لهذا الحديث القدسي.

الأمر الثاني: إن تصرّف المعصومين عليهم السلام من أنبياء وأوصياء ليس مقصوراً على مورد المعجز لتثبيت وتصديق دعوى النبوّة وصحة الوصية والدلالة عليها كما فعل وصي سليمان عليه السلام[1].

---

(١) بل الملاحظ من الموارد المذكورة أنهم عليهم السلام لم يستعملوا هذه الولاية في إثبات إمامتهم إلاّ نادراً. حيث قد ثبتت إمامتهم بنص النبي صلى الله عليه وآله، وهم بابٌ ابتلى به الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله (راجع جواب آية الله جواد التبريزي/ صراط النجاة/ ج٣/ ص٤٣٣).

بل ما صدر منهم عليهم السلام كان خاضعاً للمصلحة المقدّرة عندهم والتي لا خطأ في تقديرهم بعد كونهم عليهم السلام حكماء معصومين.

وهذه المصلحة مصاديقها مختلفة فتارة تكون لتصديق النبوّة والدلالة على الإمامة والوصية.

وأخرى تكون لتثبيت المؤمنين على إيمانهم وتقويته في نفوسهم.

وثالثة تكون لزيادة الحجة على الكافر بعد توالي المعاجز والدلائل عليه.

ورابعة لإراءة فضل المعصوم عليه السلام وعظيم منزلته عند الله تعالى.

كما قد تكون المصلحة شيئاً آخر لا ندركه كما هو الغالب لعدم التصريح بها منهم عليهم السلام.

وعليه فلا يصح القول أنَّ ما صدر من الأنبياء عليهم السلام كان وارداً مورد المعجز بين يدي دعوى النبوّة.

فهذا وإن صحَّ في بعض الموارد لكنه ليس كذلك في كل ما صدر منهم عليهم السلام، إذ كانت تصدر منهم عليهم السلام كرامات من قبيل إحياء الموتى وإبراء المرضى ونحو ذلك بعيداً عن مقام إثبات النبوّة، حيث صدرت أمام جماعة كانوا على الإيمان ولم يكن المقام مقام تحدٍ وتصديق.

والمتتبّع يرى ذلك جليّاً في ما وصل إلينا من روايات وأخبار في ذلك، بل قد وجد مثل ذلك في الكتاب العزيز، كقصة إحياء الموتى من الطيور الأربعة اللّاتي قطّعهنّ ابراهيم عليه السلام ثم أحياهن بإذن الله

تعالى، فإن المصلحة في إحيائهن من قبل ابراهيم عليه السلام لم تكن لبيان المعجزة بين يدي دعوى النبّوة كما هو واضح.

وكذلك قصة إحياء الميت من بني اسرائيل بضربه ببعض البقرة، وفلق البحر من قبل موسى عليه السلام بضربه بالعصا بإذن الله تعالى وأمره.

فمن الواضح أنَّ ذلك قد تمّ لمصلحة أخرى غير تصديق دعوى النبّوة.

وهذا يقتضي صحة إعمال الولاية والتصرّف في أي شيء في الكون تكون هناك مصلحة في التصرّف فيه.

ولمّا كان المقدِّر لهذه المصلحة حكيماً معصوماً، لا يُقدِّر خطأً ولا اشتباهاً ولا تشهيّاً، كان الأمن في تقدير المصلحة متحققاً(١).

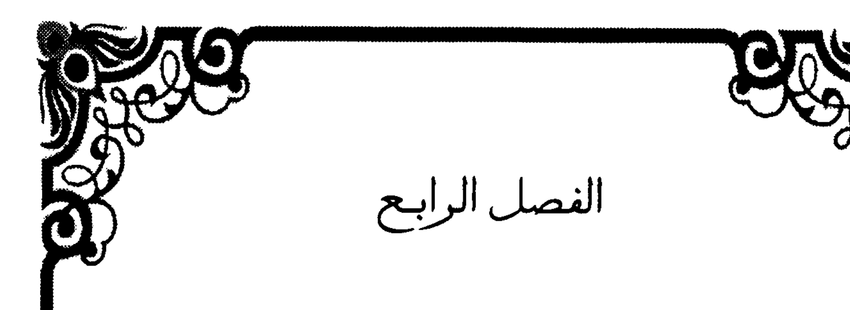
نعم كما بيّنا سابقاً فإنّ ذلك ثابتٌ للمعصومين عليهم السلام مع تفاوت في مراتب السلطنة والولاية يقتضيه التفاوت في الكمالات النفسية والروحية أي السلوكية والكمالات الفكريّة.

ولا يخفى أيضاً اقتضاء ذلك تفاوتهم في تحمّل العلوم، فلذلك ترى في الأنبياء عليهم السلام أعلمية بعضهم على بعضٍ، لا سيما خاتمهم صلى الله عليه وآله فهو أعلمهم وأكملهم على الإطلاق كما صار واضحاً من كل ما تقدّم في ذلك.

ومن هذا الأمر الثاني تعلم وجه ثبوت هذه السلطنة للأئمّة الأطهار عليهم السلام ، مضافاً إلى الأدلّة النقلية الصريحة في الإمكان والوقوع منهم عليهم السلام .

---

(١) وذلك لتسديدهم بروح القدس كما تقدّم (راجع ص٣٩).



الفصل الرابع

في تصريح علماء الامامية بثبوت الولاية التكوينيّة للنبي ﷺ والأئمّة الأطهار (عليهم السلام)



الفصل الرابع

في تصريح علماء الامامية بثبوت الولاية التكوينيّة للنبي ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام

من المعلوم الثابت لكل متتبّع أنَّ علماء الشيعة الامامية لم ينكروا هذه الولاية للنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، ولم يكونوا في يوم من الأيام إلّا المسلّمين بهذا الحق لهم عليهم السلام، وكتبهم قد حفلت بنقل ما دلَّ على ذلك، وما الروايات التي تقدّمت إلَّا من مصنّفاتهم وكتبهم التي حَوَت فضائل ومعاجز النبي وآله عليهم السلام.

وقد أكثروا في هذه الكتب نقل ما يدلُّ على السلطنة التكوينيّة دون ردّ أو تشكيك أو استهجان مما يدلُّ على اعتمادهم عليها وذهابهم إلى ما تدلُّ عليه خصوصاً وان ما نقلوه ليس بالقليل.

فها كتاب بصائر الدرجات الكبرى لمحمد بن الحسن الصفَّار الثقة من أصحاب الامام الحسن العسكري عليه السلام قد ذكر في كتابه الكثير من تلك الروايات. وقد حذا حذوه من أتى بعده من علماء الفرقة المحقّة كالصدوق رحمه الله في معاني الأخبار، وعيون أخبار الرضا عليه السلام وغيرهما.

والمفيد رحمه الله في الاختصاص.

والسيد المرتضى علم الهدى رحمه الله في عيون المعجزات على فرض صحة النسبة إليه. وثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني قبلهم في أصول الكافي. وابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب.

والعلّامة المجلسي رحمه الله في بحاره الزاخر بلئالي آل رسول الله صلى الله عليه وآله.

وغيرهم من علمائنا الماضين البعيدين والقريبين، بل والحاضرين كذلك. وإليك تصريح بعضهم بذلك:

١ ـ العلّامة المجلسي رحمه الله: فقد علّق على رواية نقلها في بحاره فيها كرامة كبرى لمولانا أبي الحسن الهادي عليه السلام، والرواية هي عن بصائر الصفّار بإسناده عن صالح بن سعيد قال: «دخلت على أبي الحسن عليه السلام[1] فقلت: جُعلت فداك، في كلّ الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع، خان الصعاليك.

فقال: ههنا أنت يا ابن سعيد؟ ثمَّ أومأ بيده فقال: أنظر، فنظرت فإذا بروضات آنقات، وروضات ناضرات فيهنَّ خيرات عطرات، وولدان كأنّهنَّ اللؤلؤ المكنون، وأطيار وظباء وأنهار تفور، فحار بصري والتمع، وحسرت عيني، فقال: حيث كنّا فهذا لنا عتيد، ولسنا في خان الصعاليك»[2].

وقد ذكر رحمه الله وجوهاً في فعله عليه السلام منها:

(١) هو الهادي عليه السلام.
(٢) بحار الأنوار/ ج٥٠/ ص١٣٢/ ح١٥.

«إنه تعالى أوجد في هذا الوقت لإظهار إعجازه عليه السلام هذه الأشياء في الهواء ليراه فيعلم أنَّ عروض تلك الأحوال لهم لتسليمهم ورضاهم بقضاء الله تعالى، وإلَّا فهم قادرون على إحداث هذه الغرائب، **وأنَّ إمامتهم الواقعية وقدرتهم العليّة ونفاذ حكمهم في العالم الأدنى والأعلى**، وخلافتهم الكبرى لم تنقص بما يرى فيهم من الذلّة والمغلوبيّة والمقهوريّة»[١].

٢ ـ المحقق الميرزا علي الايرواني الغروي في حاشيته على مكاسب الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله قال: «إنعامهم ـ أي النبي والأئمّة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ ثابتٌ في مقام التكوين إذ هم علّة الإيجاد ومبدء سلسلة الموجودات... إلى أن يقول رحمه الله: ... فإنهم في حركاتهم وسكناتهم يطلبون رضا الرب، ولا يصدرون عن غير رضاه»[٢].

٣ ـ الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني(قده) في كتابه الحكومة الاسلامية يقول: «فإنَّ للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية **وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها على جميع ذرّات الكون**. وإنَّ من ضروريات مذهبنا أنَّ لأئمّتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرّب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات فإن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرشه محدّقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلّا الله[٣]. وقد قال

---

(١) بحار الأنوار/ ج٥٠/ ص١٣٣.

(٢) حاشية المكاسب للميرزا علي الايرواني الغروي/ ص١٥٥/ طبع حجري.

(٣) أنظر تفسير القمي/ ج١/ ص٢٤٨.

جبرئيل ـ كما ورد في روايات المعراج ـ «لو دنوت أُنملة لاحترقت»[١].

وقد ورد عنهم عليهم السلام: «إنَّ لنا مع الله حالاتٍ لا يسعها ملك مقرَّب ولا نبي مرسل». ومثل هذه المنزلة موجودة لفاطمة الزهراء عليها السلام لا بمعنى أنها خليفة أو حاكمة أو قاضية، فهذه المنزلة شيء آخر وراء الولاية والخلافة والإمرة، وحين نقول: إنَّ فاطمة عليها السلام لم تكن قاضية أو حاكمة أو خليفة فليس يعني ذلك تجرّدها عن تلك المنزلة المقرّبة، كما لا يعني ذلك أنها امرأة عادية من أمثال ما عندنا...»[٢].

ولا يخفى ما في كلامه رحمه الله من فوائد عدّة اقتضت نقله بتمامه.

ويقول رحمه الله في «الأربعون حديثاً» في كلام له حول التفويض بعد أن جزم بفساد التفويض المستلزم لمغلولية يد الله، واستقلال العبد في التصرّف: «... وكما أننا العباد الضعاف قادرون على الأعمال البسيطة مثل الحركة والسكون وأفعال أخرى صغيرة، فإن العباد المخلَصين لله سبحانه والملائكة المجردين قادرون على أعمال عظيمة من الإحياء والإماتة والرزق والإيجاد والإعدام. وكما أن ملك الموت يقوم بالإماتة وعمله هذا لا يكون من قبيل استجابة الدعاء، وإن اسرافيل موكل بالإحياء، وإحياؤه لا يكون من قبيل استجابة الدعاء، أو التفويض الباطل **فكذلك الولي الكامل، والنفوس الزكية القوية مثل نفوس الأنبياء والأولياء قادرة على الإعدام والإيجاد والإماتة والإحياء**

(١) بحار الأنوار/ ج١٨/ ص٣٨٢.
(٢) الحكومة الاسلامية للامام الخميني رحمه الله/ ص٥٢ و٥٣.

بقدرة الحق المتعال، وليس هذا من التفويض المحال، ويجب أن لا نعتبره باطلاً. . .»[١].

٤ ـ المقدَّس السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ﵀ في تقريرات درسه الفقهي المعروفة بمصباح الفقاهة قال: «الظاهر أنَّه لا شبهة في ولايتهم على المخلوق بأجمعهم كما يظهر من الأخبار لكونهم واسطة في الإيجاد وبهم الوجود، وهم السبب في الخلق إذ لولاهم لَمَا خُلق النَّاس كلهم، وإنما خُلقوا لأجلهم، وبهم وجودُهُم، وهم الواسطة في إفاضته، **بل لهم الولاية التكوينيّة لما دون الخالق، فهذه الولاية نحو ولاية الله تعالى على الخلق»**[٢].

وفي سؤال: ما معنى العبارة الواردة في دعاء رجب اليومي (لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادُك)؟

أجاب (قده): لعلّها تشير إلى أنهم **مع بلوغهم في مرتبة الكمال إلى حدّ نفوذ التصرّف منهم في الكون بإذنك،** فهم مقهورون لك لأنهم مربوبون لك، لا حيلة لهم دون إرادتك ومشيّتك فيهم بما تشاء[٣].

وقد وافقه آية الله الميرزا جواد التبريزي على هذا الجواب[٤].

٥ ـ آية الله الشيخ محمد تقي البهجة (حفظه الله تعالى) في إجابته على سؤال حول الولاية التكوينيّة للأئمة ﵈ قال:

---

(١) الأربعون حديثاً/ ص٤٨٨.

(٢) مصباح الفقاهة/ ج٥/ ص٣٣.

(٣) صراط النجاة/ ج٣/ ص٣١٧/ سؤال رقم ٩٩٣.

(٤) نفس المصدر السابق.

«لا مانع من جريان الأمور بإذنهم وإمضائهم ليلة القدر ونحو ذلك، ولا مانع من هذا الأمر ثبوتاً، والدليل عليه قائمٌ عند أهله إثباتاً». وقال: «ثبوت الولاية الكاملة الكلّية لغير المعصوم ممنوعة عقلًا... وأما فعلية القدرة فلا كلام فيها في المعصوم»[١].

٦ ـ آية الله الميرزا جواد التبريزي (حفظه الله تعالى) في إرشاد الطالب إلى التعليق على المكاسب في مقام التفريق بين الولاية الاعتبارية للنبي والامام عليه السلام وبين الولاية التكوينية يقول:

«الولاية التكوينية التي عبارة عن تأثير مشيّة النبي صلى الله عليه وآله أو الامام عليه السلام في أمر كوني بمجرّدها أو مع فعل ما يكون ذلك التأثير من قبيل خرق العادة كإحياء عيسى على نبيّنا وآله وعليه الصلاة والسلام، وتفجير موسى عليه السلام العيون بضرب عصاه إلى غير ذلك.

ودعوى أن هذه الأمور تحصل بمشيّة الله ولم يكن صدورها عنهم كصدور سائر أفعالهم يكذّبها ظاهر الكتاب المجيد قال الله سبحانه حكاية عن قول عيسى ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ الآية، وذكرُ كون هذه الأفعال بإذن ربّه لا ينافي صدورها عنه عليه السلام، حيث إنَّ الإذن المزبور تكويني وعبارة عن إعطاء الله جلّا وعلا القدرة عليها نظير قوله تعالى ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٢].

وثبوت هذه الولاية التكوينية للأئمّة عليهم السلام يظهر من الروايات المختلفة الواردة في الحوادث المتفرّقة والشواهد التاريخيّة بحيث

---

(١) البرهان القاطع، مجموعة أجوبة المسائل العقائدية والشرعية/ ص١٤.

(٢) الحشر/ ٥.

يحصل للمتتبّع الجزم به»[١].

وفي جواب له (حفظه الله) عن سؤال حول الولاية التكوينية يقول:

«وأما الولاية التكوينيّة فهي التصرّف التكويني بالمخلوقات إنساناً كان أو غيره، ويدلُّ عليها آياتٌ منها» ثم استعرض (حفظه الله) بعض آيات عصا موسى وإحياء الأموات لعيسى عليه السلام ثم قال: «حيث أسند الله الفعل إلى الأنبياء، وغير ذلك من الآيات، وبما أنه لا نحتمل أن يكون ذلك ثابتاً للأنبياء دون نبيّنا صلى الله عليه وآله فحينئذٍ ثبت ذلك لنبيّنا محمد صلى الله عليه وآله، وقد ثبت أنَّ علياً عليه السلام نفس النبي صلى الله عليه وآله بنص القرآن، ولا فرق بين الأئمة عليهم السلام. إذن ما ثبت للأنبياء ثبت للنبي صلى الله عليه وآله، وما ثبت له صلى الله عليه وآله ثبت للأئمة عليهم السلام إلّا منصب النبوّة.

نعم الفرق بين الأنبياء والأئمّة أنَّ الأنبياء كانوا يفعلون ذلك لإثبات نبوّتهم بالمعجزة[٢]، وأما الأئمّة فكانوا لا يفعلون ذلك إلّا في موارد نادرة كما ورد ذلك في الأخبار[٣]، وكان الناس مكلّفين بمعرفتهم امتحاناً من الله للأمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله حتى يتميّز من يأخذ بقوله صلى الله عليه وآله ومن لا يأخذ، ولذا ورد في الزيارة الجامعة أنهم الباب المبتلى به النّاس.

(١) إرشاد الطالب إلى التعليق على المكاسب/ ج٣/ ص٢٠.

(٢) قد ورد ما يدل على أنهم عليهم السلام كانوا يفعلون ذلك إذا وُجدت المصلحة ولو كانت غير إثبات نبوّتهم بالمعجزة كما في مثل إحياء الميت لموسى عليه السلام بضربه ببعض البقرة، وإحياء الطيور الأربعة لابراهيم عليه السلام، وغير ذلك. وقد ذكرنا ذلك سابقاً فراجع.

(٣) تقدّمت بعض تلك الأخبار الدالة على وقوع ذلك منهم عليهم السلام لمصلحة، وإذا جاز وقوعها لمصلحة جاز وقوعها لكل مصلحة يقدّرونها عليهم السلام كما هو واضح، نعم لم يكثر صدور ذلك عنهم بين يدي إمامتهم لما ذكره سماحة الشيخ (حفظه الله تعالى ورعاه).

فكيف يظنّ بشخص يلتزم بإمامتهم، وأنهم عدل للنبي ﷺ إلّا في منصب النبوّة، ولا يلتزم بالولاية التكوينيّة لهم عليهم السلام، مع أنّ الحكمة الإلهية اقتضت أن تكون الولاية التكوينيّة بأيديهم حتى يتمكنوا من إبطال من يدّعي النبوّة بعد النبي ﷺ بالسحر ونحو ذلك مما يوجب إضلال الناس»[١].

وفي جواب له عن سؤال آخر: هل يصح القول بأنَّ الله تعالى فوَّض للنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام أمر الدين يُشرّعون ما يرونه صلاحاً، ولا يتخطّون المصلحة في ذلك لعصمتهم وحكمتهم، وإن ذلك بإذن الله ورضاه، وكذلك بالنسبة إلى ولايتهم التكوينيّة؟ وهل هناك من مانع عقلي أو شرعي في ذلك؟

فقال: «التشريع في الجملة فوّض إلى النبي ﷺ، والأئمّة عليهم السلام مبيّنون للأحكام الشرعية المخزون عندهم عليهم السلام علمها، سواء كان التشريع من الله سبحانه أو من النبي ﷺ. نعم للنبي والأئمة عليهم السلام الولاية التكوينيّة كما كانت لسائر الأنبياء عليهم السلام، ولكنّ النبي والأئمة عليهم السلام لا يستعملونها إلّا في موارد اللزوم بحسب علمهم بالمصلحة المقتضية لذلك»[٢].

٧ ـ آية الله السيّد تقي الطباطبائي القمّي (حفظه الله) صاحب مباني منهاج الصالحين في جواب له عن استفتاء قال: لا إشكال في الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة عليهم السلام بل للأولياء المقرّبين، والقرآن أكبر شاهد على ذلك، حيث تعرّض لموارد كثيرة من معاجز الأنبياء

(١) صراط النجاة/ ج٣/ ص٤١٨/ سؤال رقم ١٢٢٥.
(٢) في استفتاء خاص مختوم بختمه وإمضائه، موجود عندنا.

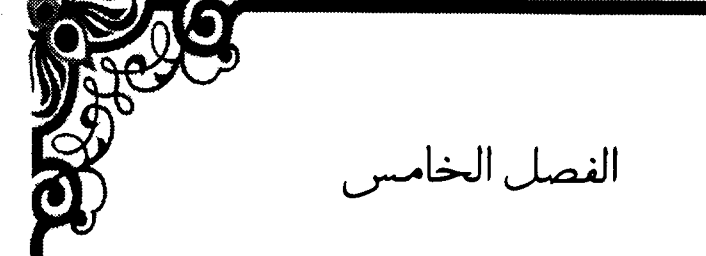
كما ورد في سورة آل عمران الآية ٤٩ ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾، إلى غير ذلك من الآيات الدالة عل الولاية التكوينيّة بالصراحة، وأمّا الروايات فحدّث ولا حرج.

ولا يكون ذلك إلّا بإذنه عزّ وجل كما صرّحت الآية الشريفة بذلك، والذي ينكرالولاية التكوينيّة إما جاهلٌ - والجاهل عُذره جهله - وإما استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله عزّ وجلّ»[١].

هذه بعض تصريحات علمائنا الأعلام، ومنه تعرف أن الولاية التكوينيّة كسلطنةٍ على الكون، وكتأثير لمشيئة المعصوم فيه ليست محل كلام وخلاف بين علماء الفرقة الناجية (حماها الله من كل سوء).

(١) ردود عقائدية لآية الله تقي القمي/ ص٢٠.





الفصل الخامس

في عرض بعض ما أُثير حول الولاية التكوينيّة للمعصومين عليهم السلام من شبهات والرد عليها



الفصل الخامس

في عرض بعض ما أُثير حول الولاية التكوينيّة للمعصومين عليهم السلام من شبهات والرد عليها

ذكرنا (ص٥٠ ـ ٥٢) أنَّ المقتضى لثبوت الولاية موجودٌ في المعصوم عليه السلام، والمانع مفقود فلا بُدَّ من القول بالإمكان والثبوت إلّا أنَّه قد يُدّعي وجود مانع أو موانع مما يقضي بعدم الثبوت، وبالتالي لا ولاية تكوينيّة بالمعنى المتقدّم لغير الله تعالى من الأنبياء والأوصياء (سلام الله تعالى عليهم أجمعين).

وعليه فلا بُدّ من استعراض بعض ما أُثير من شبهات، موانع كانت أم لا، والجواب عنها فنقول وبالله المُستعان:

الشبهة الأولى: إن الولاية التكوينية تلغى نظام العليّة والمعلوليّة السائد في الكون، وهو ما أطلقه الماديّون في دعواهم إنكار المعجزة، إذ كيف تثمر الشجرة في غير وقتها وظرفها، مع عدم وجود علّة الإثمار من تحقق الشروط الكفيلة طبيعياً بحصول الإثمار، وكيف تتحوّل النار التي أُلقي فيها إبراهيم عليه السلام إلى برد وسلام من دون ماء ولا زرع، فلا تحرقه مع أنَّ العلية التامة للإحراق كانت موجودة؟ أليس هذا تفكيك بين المعلول وعلته التامة، وبالتالي انخرام وخرق لقانون العلية والسببيّة الذي يقوم عليه هذا النظام الكوني الموجود ما دام موجوداً.

ولا يُقال: بأنَّ المعجزة ـ والولاية التكوينية إعجازٌ لكنه من النبي قد يكون لتصديق دعوى النبوّة وقد يكون لمصلحة أخرى، بينما من الامام عليه السلام لا يكون لتصديق دعوى النبوّة لعدم نبوّته بل إما لتصديق دعوى الامامة أو لمصلحة أخرى قدّرها المعصوم[١] ـ الحاصلة بمُقتفى الولاية التكوينيّة مخصّصة لهذه القاعدة العقلية.

فإنه يُقال: إن الأحكام العقلية غير قابلة للتخصيص كما ثبت في محله، ولا محيص حينئذٍ إما من إنكار الإعجاز ونفي الولاية التكوينية محافظة على هذا القانون العقلي، وإما إنكار القانون لإثبات الإعجاز ولازمه نفي أن يكون لهذا الكون علّة على نحو الحتم والجزم، وهو محذور لا يسلّم به أحد ولا يقرّه على الإطلاق.

وإذا وجد المانع لم يكن للمقتضي تأثير في مقتضاه وبالتالي عدم ثبوت هذه الولاية لوجود المانع.

والجواب: إن ما تقتضيه قاعدة أو قانون العلية والمعلولية المسلّم إنما هو مجرّد افتقار الممكن إلى العلّة المرجّحة، وأمّا أن تلك العلة لا بد وأن تكون طبيعية مادية بحيث تنحصر بها فهو أمر خارج عن مقتضى تلك القاعدة.

والذين يثبتون المعجزة أو الولاية التكوينية للمعصوم عليهم السلام لا ينكرون هذا القانون أصلًا لكنهم لا يحصرون علّة حدوث الأشياء بالعلل

---

(١) ولو خصّصنا كلمة المعجزة بما يأتي به النبي عليه السلام لتصديق دعواه النبوّة، فنسمّي ما يصدر من الأوصياء والأئمة عليهم السلام والأولياء، من تصرفات تكوينية بالكرامات.

الطبيعية، فغرضهم أنَّ العلّة المرجّحة أمر خارج عن إدراك البشر وقدرته أي هي علة غير طبيعية مرتبطة بالقدرة الكاملة الالهية اللامحدودة(١).

بعبارة أخرى، إن قانون العليّة والسببيّة الذي يقضي باستحالة وجود معلول بدون علّة فاعلية ضرورة احتياج كل حادث إلى علّة ممّا لا شك فيه ولا ينكره عاقل إلى أيّ عقيدة انتمى.

ولكن غاية ما يقتضيه هذا القانون هو الإقرار بوجود علّة لكل معلول، إلّا أنَّ هذا المعلول علته خصوص هذا الأمر دون سواه، وأنه لا بد أن يصدر عنها دون غيرها فممّا لا يقتضيه هذا القانون، ضرورة إمكان وجود أكثر من علّة لمعلول واحد كالحرارة التي قد تصدر من النار وقد تصدر من الشمس كما قد تصدر من احتكاك جسمين صلْبين مثلًا، وقد يكتشف مع الأيام مصادر أخرى للحرارة إذ إن كثيراً من التفاعلات الكيماوية تؤدي إلى انتاج الحرارة.

ومنه تعرف أنَّ ما نعرفه علّة لشيء قد ينكشف فيما بعد أنَّ له علّة أخرى بل عللًا متعددة يكفي حصول أحدها لحدوثه ووجوده.

ولذا لا يجب أن نعرف علّة أو علل كل معلول، ولا يجب أن تكون العلل طبيعية فقط إذ ليس ما يوجب ذلك ويلزمه بعد كون العلّة موجودة، طبيعةً كانت أم لا، كإرادة الله تعالى في إحداث أمور من قبيل الاعجاز الكوني، وكتصرّف المعصوم عليه السلام في الكون بعيداً عن العلل الطبيعيّة فيحصل المعلول بإذن الله تعالى، بعدما تقدَّم من عدم الاختلاف بين إرادته تعالى وإرداة أنبيائه، ومن أنهم عليهم السلام لا يصدرون إلّا عن رضاه، وهذا ما عبَّر عنه الحديث القدسي المتقدم:

---

(١) مدخل التفسير لآية الله الفاضل اللنكراني/ ص٢٥ بتصرّف.

(عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون).

وقد يجاب أيضاً: بأنّ الإعجاز من خلال التصرّفات التكوينيّة سواء في معجزات الأنبياء أم كرامات الأوصياء والأئمّة عليهم السلام إنما هو ضمن ثبوت العلّة الطبيعية وليس خارجاً عنها ولا حاكماً عليها، وذلك لأنّ الإعجاز الخارق للعادة إنما هو من جهة الزمان وإلغاء التدريج والتدرّج بحسبه، فمرجع الاعجاز في مثل جعل الشجر اليابس خضراً - في الفصل الذي لا يقع فيه هذا التبدّل والتغيّر عادة من الفصول الأربعة السنوية - إلى تحصيل ما يحتاج إليه الشجر في الاخضرار من حرارة الشمس والهواء والماء، وما يستفيده من الأرض في آن واحد، لا إلى استغنائه عن ذلك رأساً[١].

إلّا أنَّ الجواب الأول هو الصواب، وذلك لاستلزام هذا الجواب خروج المعجزة عن كونها أمراً إعجازياً ولو في غير وقت حدوث المعجزة إذ يمكن لغير النبي ولغير الامام عليه السلام أن يأتي بها في عصر آخر كما هي الحال في أيامنا حيث ترى فاكهة الصيف وخضاره في الشتاء والعكس، مع أن الاعجاز يجب أن يكون إعجازاً للبشر على مدى الدهور بحيث لا يستطيعون الاتيان بمثله أبداً[٢].

إذا تمّ هذا فقد تحصّل عدم تمامية هذا المانع، فلا يصلح لمانعية تأثير المقتضي في المحل، ومع وجود المقتضى وفقدان المانع فالثبوت والامكان حاصل، وبه تنتفي الشبهة الأولى.

الشبهة الثانية: استلزم الولاية التكوينية التفويض من الخالق للمخلوق، فالقول بها قولٌ بالتفويض، ومن المعلوم عند الشيعة

---

(١) مدخل التفسير لآية الله الفاضل اللنكراني/ ص٢٤، بتصرّف.

(٢) الإحكام في علم الكلام للسيد محمد حسن ترحيني العاملي/ ص٦٠ بتصرّف.

الامامية بطلان مذهب التفويض المبني على تفويض الله تعالى عباده في تصرّفاتهم دون حسيب ولا رقيب والمستلزم لاخراج الله تعالى عن ملكه وسلطانه. هذا في الشرعيات.

وفي التكوينيات يعني أنَّ الله تعالى قد خلق الخلق ثم فوّض إدارته وتدبيره إلى مجموعة من المخلوقين فضّلهم على سائر خلقه، وهم محمد وآله (صلوات الله عليهم).

والتفويض بكلا قسميه عندنا باطل فاسد، ويكفينا في المقام قول صادق أهل البيت عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمرٌ بين أمرين»[1] هذا بالنسبة إلى أفعال المخلوقين.

وكذلك بالنسبة إلى تدبير الكون بنحو ما يقوله المفوّضة من أنَّ الله تعالى كبعض السلاطين والملوك قد عزل نفسه عما يرجع إلى تدبير مملكته وفوّض الأمور الراجعة إليها إلى أحد وزرائه.

وهذا مخالف لما ثبت بالضرورة من رجوع الأمور في التكوين والتشريع إلى الله تعالى واختصاصه بها أولًا وبالذات لا يشاركه فيها أحد من المخلوقين مهما علا شأنه وعظمت مكانته.

وإذا كانت الولاية التكوينيّة تستلزم التفويض وهو باطل فيبطل جعل هذه الولاية لأحد من المخلوقين، إذ بطلان اللازم يستدعي بطلان الملزوم.

والجواب: إنَّ القائلين بالولاية التكوينيّة للمعصومين عليهم السلام من أنبياء وأوصياء لا يريدون منها هذا المعنى الفاسد على الإطلاق،

---

(١) أصول الكافي/ ج١/ ص١٦٠/ ح١٣.

فإنهم ينفون مشاركة أحدٍ من المخلوقين للخالق في الشرعيات وفي التكوينيّات لوضوح اختصاصها به عزَّ وجلّ، بل يريدون من الولاية التكوينيّة أنَّ الله تعالى بجوده وكرمه أفاض كرامةً على أنبيائه وأوصيائهم - مع تفاوتهم في المرتبة - تمثّلت بمنحهم القدرة على التصرّف في الكونيات بحسب المصلحة على أنَّ هذه الولاية خاضعة لسلطنة الله تعالى وولايته وتسير بإذنه وإرادته، وهذا لا ينفي إرادتهم المستقلة في إعمال هذه الولاية لِتَوَافق إرادته تعالى مع إرادتهم كما مَرَّ.

وبعبارة أخرى إن ولاية الله تعالى تشريعية كانت أم تكوينيّة هي ولاية أصيلة ذاتية، وولاية المعصوم عليه السلام بقسميها هي ولاية جعلية مأذونٌ فيها من قِبَل المولى تعالى.

فما يصدر عنهم عليهم السلام من تصرّف في التكوينيات لا يصدر عنهم استقلالاً وبعيداً عن قدرة الله تعالى وسلطنته وولايته، لأنَّه إنما أقدرهم بقدرته وسلَّطهم من خلال سلطنته، فهو المُقدّر لهم ولولاه لما قدروا فتُنسب هذه الأفعال إلى الله تعالى لأنها بإذنه وعينه، وإليهم لصدورها عنهم بإرادتهم ومشيئتهم ومباشرتهم.

فهذا السيد الخوئي رحمه الله في معرض ذكر الغلاة المفوّضة ذكر قسمين من الغلو غير جائزين ثم ذكر الثالث فقال:

«ومنهم من لا يعتقد بربوبية أمير المؤمنين عليه السلام، ولا بتفويض الأمور إليه وإنما يعتقد أنه عليه السلام وغيره من الأئمة الطاهرين ولاة الأمر وأنهم عاملون لله سبحانه وأنهم أكرم المخلوقين عنده فينسب إليهم الرزق والخلق ونحوهما- لا بمعنى إسنادها إليهم عليهم السلام حقيقةً لأنه

يعتقد أنَّ العامل فيها حقيقة هو الله ـ بل كإسناد الموت إلى ملك الموت، والمطر إلى ملك المطر، والإحياء إلى عيسى ﷺ كما ورد في الكتاب العزيز ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[١]، وغيره مما هو من إسناد فعل من أفعال الله سبحانه إلى العاملين له بضرب من الإسناد..

إلى أن يقول: والغلو ـ بهذا المعنى الأخير ـ ممّا لا محذور فيه بل لا مناص عن الالتزام به في الجملة»[٢].

وانظر كلام السيد الخميني (قده) المتقدّم في التفويض (ص١٠٦) فإنه مفيدٌ في المقام.

الشبهة الثالثة: إنَّ القرآن الكريم يؤكِّد على أنَّ النبي ﷺ لم يكن يملك من أمره شيئاً إلّا ما ملّكه الله بشكل طارىء، ولا يعلم من غيبه شيئاً، وإلّا لو كان يملك نحو الولاية التكوينية لأمكن أن يستجيب لما يقترحه عليه الناس ويفترضونه.

ولو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير ودفع عن نفسه الضر، وقد بيّن القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

وعلى هذا يكون القرآن دليلًا على عدم الولاية التكوينيّة للنبي بل للأنبياء ﷺ.

الجواب: إنَّ في هذا الكلام اشتباهاً كبيراً يندفع بالآتي: إن الآية

---

(١) آل عمران/ ٤٩.
(٢) التنقيح في شرح العروة الوثقى/ ج٣/ ص٧٤ و٧٥.
(٣) الأعراف/ ١٨٨.

التي ينفي فيها النبي ﷺ عن نفسه أنه يجلب لها نفعاً أو يدفع عنه ضراً، وينفي فيها علم الغيب عنه ﷺ إنَّما ناظرةٌ إلى نفي العلم الذاتي والقدرة الذاتية مستقلاً عن الله تعالى.

وذلك: أنَّ هذه الآية هي من جملة آيات عدّة قد صرّحت بنفي علم الغيب عن غير الله تعالى ومنها قوله تعالى ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(١).

وقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾(٢).

مضافاً إلى أخبار وافقت هذه الآيات في المعنى(٣).

لكن في المقابل وردت آيات وأخبار دلّت على علم النبي ﷺ بالغيب بل على عموم علمه به منها:

قوله تعالى حكاية عن قول عيسى عليه السلام لنبي اسرائيل ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾(٤).

وقوله تعالى ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾(٥).

وتقدَّم من الأخبار ما يدل على ذلك (راجع ص٧٩ وما بعدها).

---

(١) النمل/ ٦٥.

(٢) هود/ ٣١.

(٣) راجع المعارف السلمانية في كيفية علم الإمام وكميته للسيد عبد الحسين النجفي اللآري (ص٨١ وما بعدها).

(٤) آل عمران/ ٤٩.

(٥) الجن/ ٢٥ و٢٦.

فيقع التعارض بين الأدلة، وقد عُولج بوجوه منها:

١ ـ حمل الأدلة النافية على نفي العلم الذاتي الخاص بذات الواجب الذي لا يشاركه الممكن فيه، وحمل الأدلة المثبتة على العلم العرضي بالغيب.

٢ ـ حمل ما نفى على المحتوم غير المتغيّر بالبداء، وحمل ما أثبت على المعلّق المتغيّر بالبداء. وفيه نظر.

٣ ـ حمل النفي على نفي الإذن في بروز العلم بها، أو نفي لزوم العمل بها لا نفي أصل العلم بها[1].

وفي الآية المذكورة لمّا صرّح النبي صلى الله عليه وآله بأنّه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلّا ما شاء الله ثم عقّبه بقوله ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ يريد أن يقول ـ والله العالم ـ: إنَّ علم الغيب مختصٌ بذات الله تعالى، ولا يعلم الغيب حقيقةً غيره تعالى. ولذا فهو يريد أن ينفي عن نفسه العلم الذاتي بالغيب لوضوح اختصاصه بالله تعالى.

وأمّا ما يعلَمُهُ هو فإنّما بعلم من الله تعالى فيكون عرضياً لا ذاتياً، والآية ليست ناظرةً ـ قطعاً ـ إلى هذا النحو من العلم، كيف وقد أثبتته الآيات والأخبار الأخرى؟

وكذلك الكلام في القدرة التي يملكها فهي قدرة بإقدارٍ من الله تعالى، ولذا فاقت قدرات البشر، فكان إحياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص على يد ي عيسى عليه السلام، وكذلك ما وقع من معجزات

---

(١) راجع المعارف السلمانية في كيفية علم الامام وكميته للسيد عبد الحسين النجفي اللاّري/ ص٨٨.

وكرامات كونيّة من ابراهيم وموسى وغيرهما من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لا سيما الخاتمُ الأمين وأوصياؤه الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد ذكرنا فيما سلف ما دلَّ على هذه القدرة الفائقة والموهبة الإلهية التي وهبها الله تعالى لهم لقابليتهم واستعدادهم.

فإذا تمّ ذلك لم يكن هناك محذورٌ في إمكان أن يستجيبوا لما يقترحه عليهم النَّاس ما دامت المصلحة هي الحاكمة في التصرف التكويني منهم عليهم السلام.

ثم إنَّ هذا الكلام لو تمَّ لكان وارداً على ولاية الله تعالى حيثُ يُقال: بأنَّ الله تعالى بولايته التامة الكاملة وقدرته الذاتية يمكن أن يستجيب لما يُقترح عليه تعالى، مع أنَّ ولاية الله وتصرفه لا يجريان إلّا طبق المصلحة فقد يستجيب وقد لا يستجيب، ولا يجب عليه أن يستجيب، كل ذلك خاضع للمصلحة الداعية إلى ذلك، فليكن الأمر كذلك في ولاية المعصوم عليه السلام بلا فرق من هذه الجهة.

وبه يتضح أنَّ ما ذُكر أنه مانع هو توهّم المانعية ليس إلّا.

الشبهة الرابعة: قد يُقال: إنَّ منح هكذا ولاية وسلطنة على التكوينيات للأنبياء والأوصياء عليهم السلام يفتح الباب على مصراعيه أمام غلو كثير من الناس بأنبيائهم وأوصيائهم، وهذا منه تعالى إغراءٌ بالقبيح، والإغراء بالقبيح كفعل القبيح قبيح في حقه تعالى كما ثبت في محله.

وقد حصل ذلك في حق عيسى عليه السلام عند النصارى، وحصل

عند فرقة الغلاة التي غالت في الأئمة الأطهار عليهم السلام فرفعهتم إلى مستوى الخالقين الرازقين بالقدرة المستقلة الذاتية.

الجواب: أولاً: إنَّ في هذا الكلام نسبة القبيح إلى الله تعالى لأن النصارى قد وقع الغلو منهم فعلًا في عيسى عليه السلام، والله تعالى منزّه عن القبيح، مع أنه تعالى عليهم السلام قد منح لعيسى عليه السلام ولغيره تلك القدرة التكوينيّة، ولم يحصل التأليه عند غير النصارى في عيسى عليه السلام، واليهود الذين قالوا بألوهية عزير. فيُعلم من ذلك أن تأليه النصارى لعيسى عليه السلام إنما لأمر حصل عندهم، وإلّا لو كان سببه ما منحه الله تعالى إياه للزم تأليه كل من مُنح ما مُنح عيسى عليه السلام مع أن ذلك لم يحصل. وهذا ردٌّ على نفس النصارى إذا كانوا يعتقدون بألوهية عيسى عليه السلام لأنه يحيي الموتى ويبرأ الأكمه والأبرص.

ثانياً: هذا مع تأكيد الله تعالى على بشريّة عيسى وأمه عليهما السلام بما يرتفع معه أيّ إغراء بالقبيح حيث نفى الله تعالى عنهما الألوهية بلسان عيسى عليه السلام قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[١].

ووصفهما بما يُوصف به البشر بقوله ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٢].

---

(١) المائدة/ ١١٦.
(٢) المائدة/ ٧٥.

كما وأكّد على بشرية النبي الأكرم ﷺ في كثير من آياته منها: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1].

فإن عروض الموت والقتل لا يكون على الإله بل على المخلوق الممكن، كما أنّه لا معنى لحلول الذات الإلهية فيه بعد كونه إخراجاً للإله عن ألوهيته المطلقة، وإخراجاً للنبي عن بشريته المطلقة، وهو أمرٌ قد رفضه وحاربه أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام بشدة وقسوة معلنين كفر من يقول به.

ثمّ مع كثرة ما ورد عنهم عليهم السلام ممّا يدل على ثبوت الولاية والسلطنة التكوينية للأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فهذا يدلُّ على عدم استلزام هذه الولاية لشيء من الألوهية.

ومنها: قوله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۞ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[2].

فإن هؤلاء القرشيين كانوا يطلبون من رسول الله ﷺ كبشر مستقلّ بعيداً عن الله تعالى أن يجيبهم إلى هذه الأمور التي لا يأتي بها البشري بما هو بشري بعيداً عن تأييد الله تعالى ودعمه.

---

(١) آل عمران/ ١٤٤.

(٢) الإسراء/ ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣.

فكان جواب النبي صلى الله عليه وآله في هذا السياق، وهذا بقرينة ما ورد أنه صلى الله عليه وآله كان يستجيب لبعض المطالب أحياناً كما في شق القمر، واستجابة الشجرة ونحو ذلك ممّا تقدّم بإذن الله تعالى وتأييده وتسديده.

وكذلك الحال في أوصيائه عليهم السلام.

وعليه، فلا يكون منح الولاية التكوينيّة للأنبياء والأوصياء عليهم السلام إغراءً بالقبيح بعد تعدّد الدلائل على بشريَّتهم وخضوعهم لملك الله وسلطانه، إلّا أنهم مع بشريَّتهم امتازوا عن سائر البشر بهبة إلهية وكرامة ربَّانية عن استحقاق لها، هي هذه الولاية وهذه السلطنة.

ثم الآية المتقدّمة ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

واردةٌ هذا المورد. والله العالم.

الشبهة الخامسة[2]: حاصلها أن الولاية التكوينية - إن ثبتت فهي ولاية إنشائية لا فعلية، والمراد بالإنشائية التي لا تُعطى ولا تُمنح إلّا بعد بروز الحاجة إليها. وبالفعلية التي تُمنح لصاحبها منحاً، إلهياً بحيث أنه يستطيع أن يتصرّف في شؤونها متى ما شاء.

ودليله ما دلَّ في القرآن الكريم على أنَّ النبي صلى الله عليه وآله لا يملك من أمره شيئاً لا في النفع ولا في الضّر، لا في العافية ولا في البلاء، فقد

---

(١) الأعراف/ ١٨٨.

(٢) ذكر هذه الشبهة وجوابها الشيخ جلال الدين الصغير في كتابه الولاية التكوينيّة الحق الطبيعي للمعصوم عليه السلام/ أنظر ص٢١٥ وما بعدها من الكتاب المذكور.

يصيبه البلاء فجأة، والخير لا يحصل لديه، دون أن يدفع الضر عنه أو يجلب الخير إليه لأنه لا حاجة تبرز في ذلك بحيث ترتبط بالرسالة وتبليغها.

وإذا كان الله قد أعطى للأنبياء القيام بالمعاجز فإنها تتّصل - بشكل مباشر - بحاجة النبوّة إلى ذلك أمام التحديات الموجَّهة إليهم.

واستُدلّ على نفي الفعلية في علمه وولايته بقوله تعالى ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾(1) فإنها تدل على نفي الفعلية لا نفي الاستقلال.

وحاصل الجواب: أولاً: لا نرى محذوراً في ثبوت الفعلية وذلك لأن المنح الإنشائي يُظهر وجود المؤهل الذاتي، الذي إن أمكن وجوده في مرّة أمكن وجوده في مرّات، والولاية كمنزلة ممنوحة كما هي قابلة للتعاظم أيضاً هي قابلة للسّلب كما حصل مع بلعم بن باعورا الذي أشار الله تعالى إليه بقوله ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾(2).

حيث قد سلبت منه منزلة التصرّف التكويني من خلال سلبه الاسم الأعظم(3)، وفي المقابل ترى تعاظم وتطوّر هذه المنزلة بحيث تتفاوت درجاتها بين شخص وآخر كما هو التفاوت بين من عنده علم من الكتاب الذي أتى بعرش بلقيس بطرفة عين كما تقدّم سابقاً، وبين

---

(١) يونس/ ٤٩.
(٢) الأعراف/ ١٧٥.
(٣) راجع تفسير القمّي/ ج١/ ص٢٤٩.

من عنده علم الكتاب الذي دلّت الروايات الكثيرة على أنّه أمير المؤمنين عليه السلام[١]، وفرقٌ واضح بين الدرجتين.

فإذا وجد المؤهّل الذّاتي هذا واستمرَّ، فلا مانع من أن تبقى الولاية التي مُنحت لصاحب المؤهّل على أساسه، فأيُّ محذورٍ في ذلك؟!

ثانياً: قد دلَّ الدليل النقلي على الثبوت الفعلي للولاية التكوينيّة، ويكفي لمعرفة ذلك الاطلاع على ما تقدّم من آيات وروايات ذكرت جعل هذه الولاية للأنبياء والأوصياء عليهم السلام، كالآيات الواردة في سليمان وعيسى عليهما السلام، وكذلك ما ورد في وصي سليمان آصف بن برخيا وإحضاره عرش بلقيس قبل أن تطرف عين سليمان عليه السلام.

ثالثاً: أنَّ ما استدل به المشتبهِ من آيات قرآنية قد تقدَّم أنها تحمل على نفي الاستقلالية بعيداً عن الله تعالى، أو على نفي القدرات الذاتية، بقرينة ما دلَّ على أنَّ النبي عليه السلام قد تصرّف في التكوينيّات بحيث ثبتت له الولاية والقدرة العرضيَّة أي بجعل من الله تعالى[٢].

رابعاً: إنَّ في كلام المشتبهِ تخصيصُ ثبوت الولاية - ولو على نحو مقدار الحاجة - بالأنبياء حيث ربطها بحاجة النبوّة إلى ذلك أمام التحدّيات الموجّهة إليهم، وهذا يعني إنكاره لها في الأئمّة عليهم السلام لعدم نبوَّتهم فلا حاجة عندهم لها حينئذٍ.

وهذا يبطله ما تقدَّم من أدلة عقلية ونقلية على ثبوتها

---

(١) أنظر (ص٤٩).

(٢) عن كتاب (الولاية التكوينيّة الحق الطبيعي للمعصوم عليه السلام) للشيخ جلال الدي الصغير. بتصرُّف.

للأئمّة عليهم السلام كما أنه لا اختصاص لها بحاجة النبوّة وإن كانت هي أبرز مصاديقها.

الشبهة السادسة: قد يُقال: ما هي الضرورة الدَّاعية إلى منح الأنبياء والأوصياء هذه الولاية ما دامت الرسالة التي أُمروا بالحفاظ عليها كما أُمر النبي صلى الله عليه وآله بتبليغها **لا تفرض ذلك**، وما داموا لم يمارسوها في حياتهم بشكل آخر لا سيما أنَّ النبي صلى الله عليه وآله ينفي عن نفسه هذه القدرة فيما حدَّثنا القرآن عنه في جوابه للمشركين الذين اقترحوا عليه القيام ببعض الأفعال الخارقة للعادة وذلك بقوله ﴿سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[1] مما يُوحي بأنَّ الرسوليّة لا تفرض وجود مثل هذه القدرة في دوره ومهمّته»؟.

الجواب: قد ذُكر في هذا القيل دعاءٍ ثلاث:

الأولى: إن الرسالة لا تفرض الولاية التكوينية.

الثانية: إن الأنبياء لم يمارسوا هذه الولاية في حياتهم بشكل آخر.

الثالثة: نفي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عن نفسه هذه القدرة الولائية.

ويُجاب عن الأولى بأنَّ الرسالة - لا شك - تفرض هذه الولاية التكوينيّة ضرورة حاجة النبوّة لها بين يدي دعواها كما هي الحال في معجزات الأنبياء التي ليست هي سوى آثار لهذه الولاية التكوينيّة.

إلّا أن يكون المقصود من هذه الدعوى عدم اقتضاء الرسالة لها في غير المعجزة لتصديق النبوّة. وهذا أيضاً لا يستقيم بعد تصريح

---

(١) الإسراء/ ٩٣.

القرآن بوقوعها من بعض الأنبياء لغير جهة تصديق دعوى النبوّة كما تقدَّم في إحياء ابراهيم عليه السلام للطيور الأربعة، وإحياء موسى عليه السلام للقتيل من بني اسرائيل بضربه ببعض البقرة، وإحضار عرش بلقيس من اليمن بكلمة من وصي سليمان عليه السلام.

والذي يجمع هذه التصرفات ونحوها المصلحة الداعية إليها سواء عرفناها واطّلعنا عليهم أم لا، ضرورة أن الحكمة والعصمة في الأنبياء والأوصياء تقتضي أن لا يصدر التصرف منهم لغير مصلحة وصواب.

بل أين نحن من عفريت الجن الذي تعهّد لسليمان عليه السلام بإحضار العرش قبل أن يقوم من مقامه، وهذا ليس من الأنبياء ولا من الأوصياء، تُرى كيف يحضره لو طلب منه سليمان عليه السلام ذلك؟ ونعلم أن مدّة قيام سليمان من مقامه ليست بالوقت الكافي عادةً لمسيرة خمسماية فرسخ ذهاباً ومثلها راجعاً[1]، بل هو من المستحيل عادةً فهل هذا إلّا ولاية وقدرة على التصرف في التكوين؟

وإذ ثبت ذلك بالدليل القطعي، فلا معنى للقول أنَّ الرسالة لا تفرضه، لأنّ مجرّد قيام الدليل القطعي على أمرٍ ما لا بُدّ أن نسلّم به وبوجود مصلحة فيه، وإن كنّا لم ندرك هذه المصلحة إذ ليس من المفترض أن ندرك مصلحة كل حكم في عالم التكوين أو التشريع، صدر من المولى تعالى أو من أحد أنبيائه بعد القطع بصدوره منه إما في الكتاب أو بواسطة السُنّة القطعية، وثبوته حينئذٍ دليلٌ على أنَّ الرسالة تفرضه وتستدعيه.

---

(١) الخرائج والجرائح/ ١٧ ـ ١٨ عن الامام موسى الكاظم عليه السلام.

ولو حاولنا فهم أو استكشاف المصلحة خلف تصرّفات الأنبياء والأوصياء في عالم التكوين يمكن أن نحتمل في ذلك وجوهاً قد أشرنا إلى بعضها (ص٩٩).

ويُجاب عن الدعوى الثانية بعدم وضوح المقصود، فما معنى (وما داموا لم يمارسوها في حياتهم بشكل آخر)؟ فهل المقصود من الشكل الآخر أي في غير مقام المعجزة على النبوّة أم شيء آخر؟

فإذا كان المقصود الأول فالجواب عن الدعوى الأولى يكفي.

وإن كان الثاني فما هو هذا الشيء الآخر؟!

ثم لا يخفى ما في هذا الكلام من إنكارٍ لهذه الولاية في حق الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وهذا يبطله ما تقدَّم في الجواب الرابع عن الشبهة السابقة.

ويُجاب عن الدعوى الثالثة بما تقدَّم في الجواب عن الشبهة الرابعة من أنَّ الآية وردت لتقرير بشريّة النبي صلى الله عليه وآله من جهة، وأنَّه كبشر ـ بعيداً عن التسديد الربّاني والتأييد الإلهي ـ لا يمكن أن يفعل ما يُقترح عليه من جهة ثانية.

على أنَّ المصلحة ـ أحياناً ـ تقتضي عدم الاستجابة لعدم الفائدة في الاستجابة خصوصاً بعد توالي الحجج والبراهين حتى صار طلبهم لمجرّد الطلب، وزيادة في التعنّت، فلعلّ الآية في هذا المقام والله العالم.

وقد توجّه الآية بتوجيه آخر وهو أنَّ النبي صلى الله عليه وآله أراد بقوله ﴿سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ أن يقرّر مبدأً يقول أنَّ دور الرسول ليس في إجابة المقترحات وتنفيذ الطلبات، وإنما دوره هو

تبليغ الرسالة والتبشير والإنذار. أمّا القيام بمعجز من قبيل التصرّف في التكوينيات فهو خاضع لمصلحة هذه الرسالة ومصلحة الدِّين عموماً التي يكون تقديرها بيده هو عليه السلام، بلا فرق بين كونها لتصديق دعوى النبوة أو لغيرها من المصالح الراجعة إلى الرسالة الحقّة.

وبالتالي لا تعني هذه الآية ولا توحي بأن الرسولية لا تفرض وجود القدرة التكوينيّة في دور الرسول ومهمته.

الشبهة السابعة: قد يُقال: إنَّ قضية الولاية التكوينية ليست في الحديث عمّا هو في الممكن والمستحيل في الجانب التجريدي من حيث الحكم العقلي، بل هي في إيجاد المبرِّرات الواقعيّة للمضمون على أساس العلاقة بين النبوّة والامامة وبين أمورٍ من قبيل الولاية التكوينيّة وأن الله خلق الكون لأجلهم[1].

وإن قلت: أن ما لا نفهمه من هذه الأمور لا بُدَّ وأن يرد علمه إلى أهله.

قلت: إن هذا يفرض علينا حينئذٍ إهمال هذه الأمور وعدم إعتبارها من أصول العقائد باعتبار أنّ العقيدة لا بُدَّ أن تمثّل وعياً في الفكر وقناعة في الوجدان.

الجواب: إنَّ في هذا الكلام دعويين اثنتين:

الأولى: ظاهر الكلام أنّه لا مبرّر واقعي معقول لفرض أمور لا ترتبط أو على الأقل لا نفهم لها علاقة بينها وبين النبوّة والامامة كالولاية التكوينيّة، وأنّ الله خلق الكون لأجلهم.

---

(١) أي لأجل النبي وآله صلى الله عليه وآله كما صُرّح بذلك في حديث الكساء المشهور.

الثانية: إنّ عدم فهمنا هذا يستدعى إهمال هذه الأمور وعدم اعتبارها من أصول العقائد لأنّ العقيدة هي ما تمثل وعياً في الفكر . . . إلى آخره.

أما الأولى فيُجاب عنها بأنَّ مسألة خلق الكون لأجلهم[1] هي مسألة مسلّمة عند كل علماء الطائفة المحقّة لم يشذ منهم أحد، ولم يتوقفوا في ذلك عند وجود مبرّرات واقعية معقولة أم لا بعد ورود النصّ المعتبر عليها، وهذا كافٍ للتسليم بها ما لم تتعارض مع كتاب الله وسنّة رسوله وآله الأطهار عليهم السلام، والمعارضة ليست موجودة بل نرى في نصوصٍ كثيرة الموافقة والتأييد لهذه المسألة بما نقطع معه بوجود مبرّرات وغرض عند المولى لذلك سواء تعقّلنا هذه المبرّرات أم لا، فهذا شيء آخر.

ثمّ إنه لا بُدَّ من الالتفات إلى أنه لا يصح أن نقيس كل ما يردنا من المعصومين عليهم السلام على عقولنا فإن فهمناه قبلناه وإلّا رفضناه وأنكرناه ضرورة وجود تفاوت في إدراكات النّاس، فما لا نعقله نحن قد يعقله غيرنا، وما لا ندركه نحن بأفهامنا القاصرة لا مانع من أن يأتي لاحقاً من يفهمه ويفهّمه، وكم من أمورٍ قصُرت دونها عقول أُناس، وأدركتها عقول آخرين.

وكذلك الحال في الولاية التكوينيّة، على أن المبرّرات المعقولة الواقعية فيها واضحة بعدما كانت تدور مدار المصلحة التي تقتضي التصرّف فيها.

---

(١) ذكرتها هنا ـ وإن لم يكن لها ربط بالمقام ـ لأن المستشكل ذكرهما معاً وجعل ردّهما بأمر واحد وهو عدم وجود المبررات الواقعية علماً أنها من المسائل المسلّمة عند الطائفة المحقّة.

ويُجاب عن الدعوى الثانية بأنَّ الرد إلى أهله إنما كان بأمرٍ من أهل البيت عليهم السلام وليس قولاً للبعض من الناس وقد ذكرنا (ص٨٣ و٨٤) بعض ما ورد عنهم عليهم السلام من الرد إليهم فيما أُختلف فيه، وعدم ردّ ورفض ما لا يعقله الإنسان ما لم يكن مخالفاً لبديهيات العقل أو لآيات الكتاب والسنّة القطعية.

ومن ذلك أيضاً ما رواه الثقة الجليل محمد بن الحسن الصفّار بإسناده عن سفيان بن السّيط قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك، إنّ الرجل ليأتينا من قِبَلك فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر فيضيق بذلك صدورنا حتى نكذّبه.

قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: أليس عنّي يحدّثكم؟

قال: قلت: بلى. قال: فيقول للّيل إنه نهار وللنّهار إنه ليل؟

قال: فقلت له: لا. قال: فقال: ردّه إلينا فإنّك إن كذّبت فإنما تكذّبنا»[١]. ويدل بوضوح على أنما يُردّمن حديثهم ما خالف البديهيات والواضحات.

وبإسناده الصحيح عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أو عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تكذّبوا بحديث أتاكم أحد[٢] فإنّكم لا تدرون لعلّه من الحقّ فتكذّبوا الله فوق عرشه»[٣].

على أنّه يكفينا في المقام قوله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٤]، ولا فرق بين ما يأتي به الرسول، وما يأتي

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى/ ج١٠/ ب٢٢/ ح٣.

(٢) والمناسب (أتاكم به أحد) ليستقيم المعنى، فلعلّه خطأ من النسّاخ.

(٣) بصائر الدرجات الكبرى/ ج١٠/ باب٢٢/ ح٥.

(٤) الحشر/ ٧.

به الأئمة عليهم السلام بعد وحدة قولهم وما يصدر عنهم في الحجّية ووجوب الطاعة والاتّباع.

هل نهمل ما لا نفهمه ولا نتعقّله؟

وبه يظهر فساد ما قيل من إهمال هذه الأمور إذا كنّا لا نفهمها، فإنّ الاهتمام بهذه الأمور والالتفات إليها مما يثبّت العقيدة في النّفوس والقلوب، ويشدّ الارتباط مع هؤلاء الكرام الذين هم الوسيلة إلى الله، وهم باب الله الذي منه يُؤتى، وهم محطّ الرضا والسخط إذ في رضاهم رضاه، وفي سخطهم سخطه.

وهذا لا يُخلّ ولا يقدح بالوعي الفكري للعقيدة والقناعة الوجدانية بعد وضوح أنّ العقيدة التي نأخذ بها هي وليدةُ أدلةٍ حجّة وقاطعة تأخذ بالأعناق مما يجعلنا نتعبّد بها سواء حَصَلت لنا المعرفة بأسرارها التي لا يجب على المولى تعالى أن يُطلعنا عليها ويكشفها لنا لمصلحة رآها وحكمة قدّرها، أم لا.

النظر إلى فضائل النبي وآله عليهم السلام

ثم إنّ ما ثبت من فضائل وخصائص وكرامات ومعاجز، ومنازل لخاتم الأنبياء والأئمة الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، لا يجوز أن ننظر إليها كنظرنا إلى فضل إنسان عادي، فإنهم عليهم السلام قد مُيّزوا بملكات وخاصيّات لا تُدرك إلّا من أُناس قادرين على تحمّلها، ويدلُّ على ذلك ما ورد في جملة من الأخبار من أن أمرهم عليهم السلام صعب مستصعب لا يحتمله إلّا نبيٌّ مرسل أو ملك مقرَّب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان[١].

---

(١) راجع ص٨٥ و٨٦، تجد بعضاً من هذه الأخبار.

وروى في المحاسن بإسناده عن مالك بن أعين الجهني قال: «أقبل إليّ أبو عبد الله عليه السلام فقال: يا مالك، أنتم والله شعيتنا حقاً، يا مالك نراك قد أفرطت في القول في فضلنا، إنه ليس يقدر أحد على صفة الله وكنه قدرته وعظمته، فكما لا يقدر أحد على كنه صفة الله وقدرته وعظمته ـ ولله المثل الأعلى ـ فكذلك لا يقدر أحد على صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وفضلنا، وما أعطانا الله وما أوجب من حقوقنا»[١]. ولذا كانت أسرارهم لا تخرج إلّا إلى الخلّص من أصحابهم القادرين على حملها وحمل أعبائها، ويأمرون أصحابهم بأن لا يحدّثوا بها إلّا من يحتملها كما في خبر الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سمعته يقول: إنّ حديثنا صعبٌ مستصعب خشن مخشوش، فانبذوا إلى النّاس نبذاً، فمن عرف فزيدوه ومن أنكر فأمسكوا، لا يحتمله إلّا ثلاث مَلك مقرَّب أو نبيٍّ مرسل أو عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»[٢].

وفي خبر جابر قال: «قال أبو جعفر عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلّا ملك مقرَّب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما أشمأزّت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد، وإنما الهالك أن يُحدّث أحدكم بشيء من لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا ثلاثاً»[٣].

---

(١) المحاسن للبرقي/ ج١/ ص٢٣٨/ ح٤٣٦/ ٤١.
(٢) بصائر الدرجات الكبرى/ ج١/ باب١١/ ح٥.
(٣) نفس المصدر السابق/ ح١.

وقد أمر تعالى بالرَّدِّ إلى الرسول وإلى أولي الأمر الذين هم العلماء من آل محمد ﷺ كما استفاضت بذلك الروايات[١] قال تعالى ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾[٢].

ومن الحاملين والمتحمّلين لأمرهم عليهم السلام سلمان الفارسي(رض) ففي خبر مسعدة بن صدقة عن جعفر عن أبيه قال: «ذكرت التقيّة يوماً عند علي بن الحسين عليه السلام فقال: والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخا رسول الله ﷺ بينهما، فما ظنّكم بساير الخلق. إنّ علم العالم صعب مستصعب لا يحتمله إلّا نبيّ مرسل أو ملك مقرَّب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، قال: وإنما صار سلمان من العلماء لأنّه أمرؤٌ منّا أهل البيت عليهم السلام، فلذلك نسبه إلينا»[٣].

والحاصل: أنه لا ينبغي إهمال ما لا نفهم سببه ولا ندرك مبرراته ما دام قد قامت الأدلّة القطعية على ثبوته، ولولا اهتمام الله ورسوله والأئمّة عليهم السلام به لَمَا ورد فيه ما ورد بحيث صار من الواضحات عند أهله.

هذا وانظر ما رُوي عن الصادق عليه السلام في مقامات الأنبياء بما تقطع معه بأنّ لهم شأناً خاصاً، أو حالًا خاصةً عند الله تعالى لا تدركها العقول البشرية، وقد نقلنا هذه الرواية (ص٣٧) ويقول فيها: «إنّ الله عزّ وجلّ مكّن أنبياءه من خزائن لطفه وكرمه ورحمته،

(١) راجع بصائر الدرجات الكبرى للصفّار، وأصول الكافي/ ج١.
(٢) النساء/ ٨٣.
(٣) بصائر الدرجات الكبرى/ ج١/ باب١١/ ح٢١.

وعلّمهم من مخزون علمه، وأفردهم من جميع الخلائق لنفسه، فلا يُشبه أخلاقهم وأحوالهم أحدٌ من الخلائق أجمعين، إذ جعلهم وسائل سائر الخلق إليه، . . . إلى أن يقول عليه السلام:

فعظِّم جميع أنبياء الله، ولا تنزلهم بمنزلة أحد من دونهم، ولا تتصرّف بعقلك في مقاماتهم وأحوالهم وأخلاقهم إلاّ ببيانٍ محكمٍ من عند الله، وإجماع أهل البصائر بدلائل تتحقّق بها فضائلهم ومراتبهم، وأنّى بالوصول إلى حقيقة ما لهم عند الله؟ وإن قابلت أقوالهم وأفعالهم بمن دونهم من النّاس أجمعين فقد أسأت صحبتهم وأنكرت معرفتهم، وجهلتَ خصوصيّتهم بالله، وسقطت عن درجة حقيقة الإيمان والمعرفة، فإيّاك ثمّ إيّاك»[1].

فلنَبْعُد عن التصرّف العقلي المحض في مقامات أهل الحق واليقين من الأنبياء والمرسلين والأوصياء والأئمّة لأننا بذلك نقع في جهالتنا التي لا تقود سوى إلى الخسران المبين، ولنأخذ بما ورد عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله في بيان هذه الأمور لأنهم أهلها ومعدنها يعرفون كيف يصفون ويحكون ويبيّنون فنكون متمسّكين ببيانٍ محكمٍ من عند الله وإجماع أهل البصائر بدلائل تتحقّق بها فضائلهم ومراتبهم.

الشبهة الثامنة: قد يُقال: إنّ المعصوم عليه السلام لو كانت لديه قدرة التصرّف بشؤون الولاية التكوينيّة لاستخدمها في جلب الخير لنفسه ومنع الضرّ عنها مع أنّه لم يفعل، فتراه يصيبه الضر الشديد كالحبس والقتل ولا يدفع ذلك عن نفسه فضلاً عمّا دون ذلك.

---

(١) بحار الأنوار/ ج١١/ ص٣٧/ ح٣٤ عن مصباح الشريعة.

الجواب: إن الضرّاء والسرّاء من المفاهيم الاعتبارية التي تختلف النظرة إليها من شخص إلى آخر حسب ما يراه ضرّاً وما يراه خيراً، فقد يكون الأمر المعيّن ضرّاً لدى البعض يجتنبونه بينما لدى غيرهم هو الخير بعينه فيرتكبونه.

فبذل المال للمحتاج يراه الكريم خيراً، ويراه البخيل ضُرّاً.

والقتل في سبيل الله، وتعريض النفس له يراه المجاهد خيراً بينما يراه الجبان ضراً فيجتنبه. هذا فيما نعلمه من حالة النفوس المختلفة. أمّا إذا أتينا إلى المعصوم عليه السلام فإننا لا ندرك كنه الخير الذي في إدراكه بعد كون حساباته قائمةً على أساس مصالح العهد الربّاني الذي بين يديه، وهو لم ينله إلّا بعد أن آلى على نفسه أن يتحمّل الضرّ في سبيل مصلحة العقيدة والرسالة الربّانية، والنماذج النبويّة والمعصومية عموماً كثيرة تدل على تحمّل الأنبياء والأوصياء للضرر الشَّخصي مهما كان شديداً في سبيل العقيدة ومفاهيمها وأحكامها، فهذا نبي الله يوسف عليه السلام يتحمل ضرر السجن بكل طيب نفس بل ويطلبه ويحبّه لأنّ في ذلك خدمةً للرسالة.

وهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يتحمّل ضرر النّار مع ما في ضررها من الهلاك بطريقة الحرق على أن يتنازل عن عقيدته ورسالته فيجعلها الله تعالى برداً وسلاماً عليه، ولمّا جاءه جبرئيل عليه السلام يسأله ـ وهو يهوي ـ: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا[1].

وهذه هي حال خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق/ ج١/ ص٣٥/ ح٦ عن الصادق عليه السلام.

في تحمّلهم للشدائد حتى قال صلى الله عليه وآله: «ما أُوذي نبيٌّ مثل ما أُوذيت».

وقول سيد الشهداء في كربلاء لمّا نزلت به النوازل «هوّن ما نزل بي أنه بعين الله».

ومثله ما وقع لباقي أئمتنا عليهم السلام من تحمّل الأذى على أيدي سلاطين زمانهم، حتى استشهدوا مسمومين مظلومين[١].

ولو أرادوا رفعه لرفعوه لكنهم آثروا الضرر الشديد مع ما فيه من عظيم مرضاة الله تعالى، ويدل عليه ما ورد في الصحيح عن ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام إن حمران قال له: «جُعلت فداك، أرأيت ما كان من أمر قيام علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام، وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّ ذكره، وما أُصيبوا من قتل الطواغيت إيّاهم والظفر بهم حتى قُتلوا وغلبوا؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: يا حمران، إنَّ الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتّمه على سبيل الاختيار[٢]، ثم أجراه فبتقدُّم علمٍ إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام عليّ والحسن والحسين عليهم السلام وبعلمٍ صمت من صمت منّا، ولو أنهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عزّ وجل وإظهار الطواغيت عليهم سألوا الله عزّ وجلّ أن يدفع عنهم ذلك وألحّوا عليه في طلب إزالة ملك الطواغيت وذهاب ملكهم إذاً لأجابهم ودفع ذلك عنهم، ثم كان انقضاء مدّة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع

---

(١) الشبهة وجوابها إلى هنا من كتاب الولاية التكوينيّة الحق الطبيعي للمعصوم عليه السلام للشيخ جلال الدين الصغير/ ص٢٢٧ ـ ٢٣٨ بتصرّف.

(٢) في بعض النسخ (على سبيل الاختبار).

فتبدّد، وما كان ذلك الذي أصابهم يا حمران لذنب اقترفوه، ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها، ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن يبلغوها، فلا تذهبنَّ بك المذاهب فيهم»[1].

وفي الصحيح أيضاً عن عبد الملك بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أنزل الله تعالى النّصر على الحسين عليه السلام حتى كان ما بين السماء والأرض ثمَّ خُيِّرَ: النصر أو لقاء الله، فاختار لقاء الله تعالى»[2].

فانظر إلى اختيارهم عليهم السلام المساوق للضرر الشديد إلّا أنهم كانوا ينظرون في الأمور بالمصلحة والحكمة فقدَّموا ما رأوه صلاحاً ومصلحة للرسالة وكرامة لهم عند الله عزّ وجل.

ومنه تعرف عدم صحة الكلام المذكور الذي يُنبي عن عدم دراية بمقامات الأنبياء والأوصياء بعد تحكيم العقل المحض بعيداً عن البيان المحكم من الله تعالى ورسوله وأولي الأمر من آله الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

---

(١) أصول الكافي/ ج١/ ص٢٦١/ ح٤.
(٢) المصدر السابق/ ص٢٦٠/ ح٨.

خاتمة

في كيفيّة تحصيل الأصول الاعتقادية

ونعني بالأصول الاعتقادية كل ما خرج عن الأحكام الفرعية التي لا يخلو تحصيلها من إحدى طرق ثلاث قد أقرّها علماء الفرقة الحقة هي:

١ ـ الاجتهاد.

٢ ـ الاحتياط.

٣ ـ التقليد.

والقادر على الأوّل مخيّر بينه وبين الثاني. وغير القادر عليه مخيّر بين الثاني الثالث إلّا أن يتعسّر عليه الثاني كما هو الغالب فيجب الثالث للانحصار به.

أما الأصول الاعتقادية فما عداها بحيث تشمل ما يُعرف بأصول الدين المشهورة عند علماء الفرقة وهي خمسة:

التوحيد، العدل، النبوة، الامامة، والمعاد.

ومنها ما يتفرّع على هذه الأصول كصفات الباري تعالى الثبوتية والسلبية، الذاتية والفعليّة.

وصفات النبي والإمام وما يتعلّق بكلٍّ منها بما هما نبيٌّ وإمام.

وكذلك في تحديد حقيقة المعاد وأنَّه جسماني كما عليه المسلمون أم روحاني فقط كما عليه الفلاسفة.

وما يتعلّق بالجنة والنار والحساب والبرزخ والصراط وغيرها.

هذا وقد ادُّعي الإجماع من المسلمين على وجوب الاعتقاد بهذه الأصول عن دليل ولا يكفي فيها التقليد، قال العلّامة الحلي (قده) في الباب الحادي عشر: «أجمع العلماء كافةً على وجوب معرفة الله تعالى وصفاته الثبوتية والسلبية وما يصح عليه وما يمتنع عنه، والنبوّة والإمامة والمعاد بالدليل لا بالتقليد»(١).

وقال شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله: «لا طريق إلى معرفة هذه الأصول التي ذكرناها إلّا بالنظر في طرقها»(٢).

وذكر نحو هذا الكلام أبو إسحاق النوبختي في الياقوت، والمقداد السيوري في كتبه الثلاث (النافع يوم الحشر، إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين، والاعتماد في شرح واجب الإعتقاد).

أقول: إنّ هذا الكلام يأتي في حقّ القادر على النظر والفحص في الدليل أما غيره وهم الأغلب فلا يُطلب منهم الاعتقاد الراجع إلى الدليل، والبرهان لتعسّره بل لتعذّره على كثيرين، ولذا فإنَّ حالهم في ذلك ينحصر في أمرين:

الأول: الاعتقاد الإجمالي وهو أقل ما يجب على المكلّف الاعتقاد به، ويتمثّل بما ذكره الخواجا نصير الدين الطوسي بقوله «فهو

(١) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر/ ص١٠ ـ ١٢.
(٢) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد للشيخ الطوسي/ ص٢٥. ويريد بـ«التي ذكرناها» الأصول الخمسة وما يتفرّع عليها.

ما ترجمهُ قوله «لا إله إلّا الله محمد رسول الله»، ثمَّ إذا صدّق الرسول فينبغي أن يصدّقه في صفات الله تعالى، واليوم الآخر، وتعيين الإمام المعصوم، وكلّ ذلك بما يشتمل عليه القرآن من غير مزيدٍ وبرهان.

أما بالآخرة فبالإيمان بالجنة والنار والحساب وغيره.

وأما في صفات الله تعالى فبأنّه حيٌّ، قادرٌ، عالمٌ، مريدٌ، متكلّم، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

وليس عليه بحثٌ عن حقيقة هذه الصفات، وأنّ الكلام والعلم وغيرهما قديم أو حادث، بل لو لم يخطر له حقيقة هذه المسألة حتى مات، مات مؤمناً. وليس عليه بحثٌ عن الأدلة التي حرّرها المتكلّمون، بل مهما خطر في قلبه التصديق بمجرّد الإيمان من غير دليل وبرهان فهو مؤمن، ولم يكلّف رسول الله ﷺ العرب أكثر من ذلك.

وعلى هذا الاعتقاد المجمل استمر الأعراب وعوامُّ الخلق...»[١].

ولا يخفى فطرية هذا الاعتقاد الإجمالي الذي لا يُحتاج معه إلى نظر ودليل على طريقة أمير المؤمنين عليه السلام لمّا سُئِل عن الدليل على وجود الخالق فقال: «البعرة تدلُّ على البعيرة والروثة تدل على الحمير، وآثار القدم تدل على المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة لا يدلّان على اللّطيف الخبير»[٢].

(١) تلخيص المحصّل/ أقل ما يجب الاعتقاد به/ ص٤٧١.
(٢) حق اليقين في معرفة أصول الدين/ ج١/ ص٧، وحكي نحوه عن الأعرابي.

وعلى طريقة جواب الامام الصادق عليه السلام للرجل الذي سأله عن الله تعالى ليدلّه عليه فقال له عليه السلام: «يا عبد الله، هل ركبت سفينةً قط؟ قال: نعم. قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم. قال: فهل تعلّق قلبك هنالك أنَّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: نعم. قال عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مُغيث»(١).

وروى الصدوق رحمه الله في عيون أخبار الرضا عليه السلام بإسناده عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن عليه السلام قال: «سألته عن أدنى المعرفة، قال: الإقرار بأنَّه لا إله غيره ولا شبيه له ولا نظير له، وأنه مثبت قديم موجود غير فقيد، وأنه ليس كمثله شيء»(٢).

الأمر الثاني: وهو ما زاد عن هذا الاعتقاد الاجمالي، كالاعتقاد بصفاته تعالى أنها عين ذاته أو من أفعاله ونحو ذلك.

والاعتقاد فيما ثبت للنبي صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام من ولاية في مقامي التشريع والتكوين.

والاعتقاد بمثل الرجعة والبداء، والأمر بين الأمرين، واختيارية العصمة، ونحو ذلك. فإنه إن كان من أهل النظر القادرين على معرفة هذه الأمور بالدليل وجب عليه النظر ولا يكفيه الرجوع إلى غيره.

وإلّا تعيّن عليه الرجوع إلى ما عليه علماء الفرقة المحقَّة والالتزام بما أقرّوه بماهم أهلٌ لذلك. ولا يضر شذوذ بعضٍ وتفرّده

---

(١) بحار الأنوار/ ج٣/ ص٤١.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام/ ج١/ ص١٣٣/ ح٢٩.

برأي خالف فيه ما هو المعروف عند علماء الفرقة.

فإن مخالفته لو كانت عن دليل معتبر كان رأيه حجّة عليه وله فقط.

إلّا أن يخالف في اليقينيات والضروريات فحكمه على التفصيل المذكور في كتب الفقه بالنسبة إلى منكر الضرورة.

قال الشيخ محمد حسين الأصفهاني في فصوله الغروية: «إنَّ العامي إن علم بوجوب النظر عليه ولو من جهة الخوف على عقائده وجب عليه النظر، وإلّا كان وظيفته في ذلك الرجوع إلى العلماء لأنَّ المسألة نظرية يقصر عن معرفتها نظر العامي غالباً»[١].

تنبيه: إنَّ من الاعتقادات ما كان معلوماً على نحو الجزم واليقين عند علماء الفرقة، فعلى العوام كافةً أن يلتزموا بهذه الاعتقادات ولا يلتفتوا إلى رأي مخالف من هنا وآخر من هناك.

وإذا حصل عند المكلّف علمٌ ويقين من قول العلماء لم يحتج معه إلى البحث لأنّ المطلوب في الاعتقاديات العلم واليقين بلا فرق بين أسبابهما وطرقهما كما صرّح بذلك السيد الخوئي (قده) في تقريرات بحثه المعروف بالتنقيح[٢].

حديث الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حول تقليدهم عوامّ الأمّة لعلمائهم كما رواه أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من علماء الإمامية في القرن السادس، وقد نقلها عن أبي محمد العسكري عليه السلام:

---

(١) الفصول الغروية/ ص٤١٦/ حجرية طبع إيران.

(٢) التنقيح/ج١/ ص٤١١، تقرير بحث السيد الخوئي رحمه الله على العروة الوثقى للميرزا علي الغروي رحمه الله.

قال عليه السلام: «قال رجل للصادق عليه السلام: فإذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب إلّا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره، فكيف ذمّهم بتقليدهم والقبول من علمائهم، وهل عوامّ اليهود إلّا كعوامنا يقلّدون علماءهم؟

فقال عليه السلام: بين عوامنا وعلمائنا وعوام اليهود وعلمائهم، فرق من جهة وتسوية من جهة. أما من حيث استووا، فإنّ الله قد ذمّ عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذمّ عوامهم. وأما من حيث افترقوا فلا.

قال: بيّن لي يا ابن رسول الله.

قال عليه السلام: إنّ عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وبأكل الحرام والرشا، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات، وعرفوهم بالتعصّب الشديد الذي يفارقون به أديانهم، وأنهم إذا تعصّبوا أزالوا حقوق من تعصّبوا عليه، وأعطوا ما لا يستحقه من تعصّبوا له من أموال غيرهم، وظلموهم من أجلهم، وعرفوهم يقارفون المحرّمات، واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أنّ من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يصدّق على الله، ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله، فلذلك ذمّهم لمّا قلّدوا من قد عرفوه، ومن قد علموا أنّه لا يجوز قبول خبره، ولا تصديقه في حكايته، ولا العمل بما يؤدّيه إليهم عمّن لم يشاهدوه، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كانت دلائله أوضح من أن تخفى وأشهر من أن لا تظهر لهم.

وكذلك عوام أمّتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة، والتكالب على حطام الدنيا وحرامها، وإهلاك من يتعصبّون

عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقاً، وبالترفرف بالبرّ والإحسان على من تعصّبوا له وإن كان للأذلال والإهانة مستحقاً.

فمن قلّد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمّهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم.

فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولده فللعوام أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم، فإنّه من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة العامة فلاتقبلوا منا عنه شيئاً ولا كرامة، وإنما كثر التخليط فيما يتحمّل عنّا أهل البيت لذلك، لأنّ الفسقة يتحمّلون عنّا فيحرّفونه بأسره بجهلهم، ويضعون الأشياء على غير وجهها لقلة معرفتهم، وآخرون يتعمّدون الكذب علينا ليجرّوا من عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنم. . .»[1].

تمّ الفراغ منه ـ بعون الله وتوفيقه ـ بعد ظهر يوم الأحد الواقع فيه ٢٢/ شوال ١٤٢٢هـ، الموافق ٦/ ١/ ٢٠٠٢م.

سائلًا المولى الكريم أن يتقبّله منّا بمحمد وآله الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

والحمد لله ربّ العالمين

إسماعيل ابراهيم حريري العاملي

عبّا ـ جبل عامل

---

(١) الاحتجاج/ ج٢/ ص٤٥٧ ـ ٤٥٨.

المصادر

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ الاختصاص للشيخ المفيد ﵀/ مجلد ١٢ من سلسلة مؤلفاته ﵀.
٣ ـ اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي للشيخ الطوسي/ تصحيح وتعليق الميرداماد/ مؤسسة آل البيت ﵈/ مطبعة بعثة ـ قم/ ١٤٠٤هـ.
٤ ـ الأربعون حديثاً للإمام روح الله الموسوي الخميني(قده)/ دار التعارف للمطبوعات/ بيروت ـ لبنان/ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٥ ـ الإحكام في علم الكلام للسيد محمد حسن ترحيني/ دار الأمير للثقافة والعلوم/ بيروت ـ لبنان/ الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
٦ ـ إرشاد الطالب إلى التعليق على المكاسب لآية الله الشيخ جواد التبريزي/ مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ـ قم/ الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.ق.
٧ ـ الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي ﵀/ دار الأضواء/ بيروت ـ لبنان/ الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٨ ـ الاحتجاج لأحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت ـ لبنان/ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٩ ـ البرهان القاطع، مجموعة أجوبة المسائل العقائدية والشرعية الموجّهة إلى آية الله الشيخ محمد تقي البهجة.

١٠ ـ بحار الأنوار للعلاّمة المجلسي/ مؤسسة الوفاء/ بيروت ـ لبنان.

١١ ـ بصائر الدرجات الكبرى للصحابي الثقة محمد بن الحسن الصفّار/ مؤسسة الأعلمي ـ طهران/ الطبعة الثانية ١٣٧٤.

١٣ ـ تفسير القمّي لعلي بن ابراهيم بن هاشم القمّي/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان/ طبعة أولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١٤ ـ تفسير العيّاشي للمحدث الجليل محمد بن مسعود بن عيّاش السّلمي السمرقندي المعروف بالعيّاشي/ المكتبة العلمية الاسلامية/ تهران ـ تصحيح السيد هاشم الرسول المحلاّتي.

١٥ ـ تلخيص المحصّل للخواجا نصير الدين الطوّسي/ دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان/ الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٦ ـ التنقيح في شرح العروة الوثقى/ تقرير بحث السيد الخوئي ﵀ للميرزا علي الغروي ﵀/ مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر ـ قم.

١٧ ـ تفسير الصافي للفيض الكاشاني/ منشورات مكتبة الصدر ـ إيران ـ طهران/ طبعة ١٤١٥هـ.ق.

١٨ ـ الحكومة الاسلامية للامام روح الله الموسوي الخميني(قده).

١٩ ـ حاشية المكاسب للميرزا علي الايرواني الغروي/ أفست المطبعة الرشدية بطهران/ ١٣٧٩.

٢٠ ـ ردود عقائدية لآية الله السيد تقي الطباطبائي القمي/ دار الصديقة الشهيدة ﷺ الطبعة الأولى ـ /جمادى الأخرى ١٤١٩هـ.ق.

٢١ ـ صراط النجاة أجوبة استفتاءات للسيد الخوئي والشيخ التبريزي/ ٣ مجلدات/ جمع موسى مفيد الدين عاصي العاملي/ دار المحجة البيضاء ودار الرسول الأكرم ﷺ/ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٢ ـ علل الشرائع للشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمّي/ دار البلاغة ـ بيروت.

٢٣ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمّي/ نشر رضا مشهدي.

٢٤ ـ عوالم العلوم والمعارف والأحوال في فاطمة الزهراء عليها السلام للشيخ البحراني الأصفهاني/ مدرسة الامام المهدي عليه السلام/ قم المقدسة ١٤٠٥هـ.

٢٥ ـ فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وإمامته المعروف بدلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر/ دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي/ بيروت ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٦ ـ الفصول الغروية للشيخ محمد حسين الأصفهاني/ طبع ١٥ شعبان ١٤٠٤هـ.ق.

٢٧ ـ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلاّمة الحلي/ منشورات ـ شكوري ـ قم/ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٨ ـ الكافي لثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني/ دار صعب ودار التعارف للمطبوعات/ الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ.

٢٩ ـ الميزان في تفسير القرآن للعلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائي/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت ـ لبنان/ الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.ق ـ ١٩٧٣م.

٣٠ ـ الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني/ دار السرور بيروت/ الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م.

٣١ ـ مجمع البحرين لفخر الدين الطريحي/ تحقيق أحمد الحسيني/ مؤسسة الوفاء ـ بيرت، لبنان/ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٢ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن للفضل بن الحسن الطبرسي/ منشورات دار مكتبة الحياة.

٣٣ ـ المعارف السلمانية في كيفية علم الامام وكميته للسيدعبد الحسين النجفي اللآري/ مركز جواد/ الطبعة الأولى ١٩٩٤م ـ ١٤١٤م.

٣٤ ـ مدخل التفسير لآية الله الفاضل اللنكراني/ مركز النشر ـ مكتب الاعلام الاسلامي ١٤١٣هـ.

٣٥ ـ مصباح الفقاهة تقرير بحث السيد الخوئي رحمه الله على مكاسب الشيخ الأنصاري للميرزا محمد علي التوحيدي/ دار الهادي ـ بيروت ـ لبنان/ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٣٦ ـ مفاتيح الجنان للمحدّث الشيخ عباس القمّي/ دار ومكتبة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ـ بيروت ـ لبنان/ طبع ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٧ ـ النافع يوم الحشر للفاضل المقداد السيوري/ مؤسسة أهل البيت ـ بيروت، لبنان/ ١٤٠٧ ـ ١٩٨٦م.

٣٨ ـ نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت ـ لبنان.

٣٩ ـ نهج الحق وكشف الصدق للعلاّمة الحلي/ دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة/ بيروت ـ لبنان ١٩٨٢م.

٤٠ ـ الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم عليه السلام للشيخ جلال الدين الصغير/ دار الأعراف للدراسات ـ بيروت ـ لبنان/ الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

الفهرس